الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

كتاب ربيع البديع لمحمد بن يوسف

أطفّيش – المنهج والمحتوى– .

مذكرة مقدمة لنيل درجة ليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

إشراف الدكتور:

إعداد الطالبات: – عمر بورنان

- أسماء بوسيقع.
- سلوى بوزديلة.
- فلة ناصف.

السنة الجامعية:2017-2018م

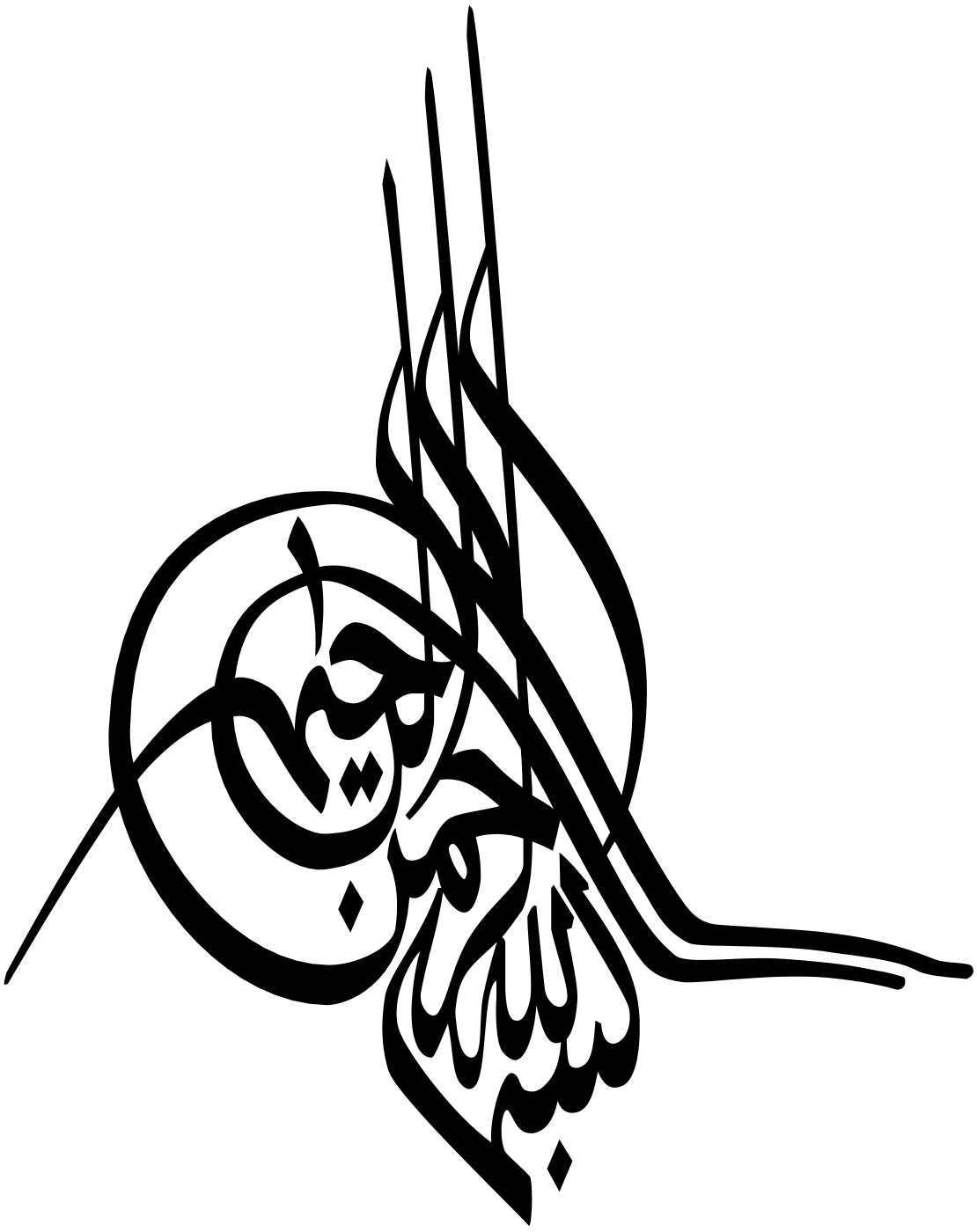
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إهداء

بسم الله الذي نحمده ونشكره حمدا كثيرا لقوله تعالى:

"أذكروني أذكركم واشكروني ولا تكفرون"

والصلاة والسلام على خير من صلى وصام، من بكى شوقا لرؤيتنا فقال:

"اشتقت لأحبابي..."

إلى عائلتي مرتع الحب والحنان، إلى أبي وأمي من سهرا لأكون خير البنت

إلى صديقاتي وزميلاتي الفضليات، من كن خير سند في أصعب الأوقات فكانوا لي ما أوصانا به رسولنا صلى الله عليه وسلم:"لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه

في ثلاث:في نكبته وغيبته ووفاته".

إلى أساتذتي الكرام في كل الاطوار.

إلى كل من يعرفني أو لم يعرفني سيستفيد من بحثي هذا.

أسماء

إهداء

نحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة العلم التي رزقنا إياها لقوله تعالى:

"اقرأ باسم ربك الذي خلق"

والرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان قدوتنا في طلب العلم.

أوجه شكري إلى من أرضعتني لبن الحنان وسقتني ماء الحياة إلى من تطيب أيامي بقربها. إلى أنبل كلمة نطق بها لساني أمي الغالية أطال الله عمرها

إلى الذي تعلمت منه الصبر والكفاح وأخذت منه القوة والسماح

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله.

إلى من علموني معنى الترابط الأسري وكانوا سندا وعونا في مقام أبي إخوتي وأخواتي، إلى جدتي، إلى براعم البيت، إلى من كن لي رفيقات القلب قبل رفيقات الدرب فكن لي نعم الصديقات،فلة ،أسماء، حفصة، إيمان.

إلى أساتذتي في كل الأطوار التعليمية.

إلى كل من عرفني وأحبني أهدي ثمرة جهدي.

سلوى

إهداء

نحمد الله سبحانه وتعالى على نعمة العلم التي رزقنا إياها لقوله تعالى:

"اقرأ باسم ربك الذي خلق"

والرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان قدوتنا في طلب العلم.

أوجه شكري إلى من أرضعتني لبن الحنان وسقتني ماء الحياة إلى من تطيب أيامي بقربها. إلى أنبل كلمة نطق بها لساني أمي الغالية أطال الله عمرها

إلى الذي تعلمت منه الصبر والكفاح وأخذت منه القوة والسماح

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله.

إلى من علموني معنى الترابط الأسري وكانوا سندا وعونا في مقام أبي إخوتي وأختي، إلى براعم البيت، إلى من كن لي رفيقات القلب قبل رفيقات الدرب فكن لي نعم الصديقات،سلوى ،أسماء، حفصة، إيمان.

إلى أساتذتي في كل الأطوار التعليمية.

إلى كل من عرفني وأحبني أهدي ثمرة جهدي.

فلة

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

لقد شارك العلماء الجزائريون في إثراء الدرس اللغوي العربي، من نحو وصرف وبلاغة نذكر منهم أحد الأعلام الذين خدموا العربية بالتعليم والتأليف وهو العلامة الشيخ محمد بن يوسف أطفّيش.

في بداية السنة الجامعية كنا في بحث دائم عن موضوع نبني عليه بحثنا في مذكرة تخرج الليسانس، فاتصلنا بالأستاذ المشرف الذي دلنا على موضوع مشوق هو كتاب ربيع البديع لمحمد أطفّيش، وما إن وضعه بين أيدينا حتى تبادر إلى أذهاننا سؤال واحد هو، ما محتوى هذا الكتاب؟ وما منهجه؟ وكنا نرغب في أن نعرف إذا ما كان هذا المؤلف قد اتبع علماء البلاغة السابقين أم أنه حاول التجديد في محتوى كتابه ومنهجه؟ومن هنا خطر ببالنا إنجاز بحث تحت عنوان كتاب ربيع البديع لمحمد بن يوسف أطفيش المنهج والمحتوى، وبعد الاطلاع على بعض المراجع وجدنا أن هناك من درس هذا الموضوع، وقد قمنا بتقسيم بحثنا إلى فصلين اثنين:

_الفصل الأول:وهو بعنوان التعريف بالمؤلف والمؤلف، درسنا فيه حياة الشيخ أطفيش وأهم إنجازاته وعرّفنا فيه بكتاب ربيع البديع وقسمناه إلى مبحثين، أما المبحث الأول و التعريف بالمؤلف درسنا فيه حياة الشيخ وآثاره، وأما المبحث الثاني فهو بعنوان: التعريف بالمؤلَّف، درسنا فيه الكتاب وأهم النقاط فيه.

_الفصل الثاني:وهو بعنوان منهج الكتاب درسنا فيه المنهج الذي اتبعه الشيخ في تأليفه لكتابه ثم تطرقنا إلى المحتوى كذلك قسمناه إلى مبحثين، أما المبحث الأول فشرحنا فيه

طريقة اطفيش في إنجاز هذا الكتاب أما المبحث الثاني فدرسنا فيه ملخص المحتوى للكتاب.

تعود أهمية هذا البحث إلى عدة اعتبارات نذكر منها

_قلة الدراسات البلاغية حول أعلام الجزائر والنظر في جهودهم من خلال آثارهم.

_إبراز مكانة الشيخ والتعريف به من خلال أحد مؤلفاته.

_إظهار منهج الشيخ واستظهار هذا العلم وكيف جدد عن سابقيه.

وقد رجعنا أثناء إنجاز هذا البحث إلى مصادر أهمها الكتاب نفسه...

حيث اتبعنا المنهج الاحصائي في دراستنا .

وفي الأخير أسدي جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور عمر بورنان الذي وجهنا برأيه ونصحه فكان بذلك سببا في خروج هذا البحث إلى النور. والله وحده الموفق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول:التعريف بحياة المؤلف ومؤلفه

المبحث الأول:المؤلف حياته وآثاره

-عصره وبيئته

-حياته وآثاره

-آثاره العلمية

-وفاته

المبحث الثاني:التعريف بالمؤَّلف

-الشكل الخارجي للكتاب

-سبب التسمية

-القيمة العلمية للكتاب

1-المبحث الأول:المؤلِّف حياته وآثاره

-عصره وبيئته:

"عاش محمد بن يوسف أطفّيش بين القرنين الثّالث عشر والرّابع عشر للهجرة

أي ما بين القرن التّاسع عشر والقرن العشرين للميلاد وقد شهدت هذه الفترة صعوبة في أوضاعها على العالم الإسلامي عامّة وعلى الجزائر خاصّة ،لما دار فيها من صراعات وتكالب دول الغرب على البلاد العربية طمعًا في خيراتها واستئصالًا لهوية وتاريخ وثقافة شعوبها.

كانت أهم سمة طبعت الحياة في الوقت الذي وجد فيه الشيخ أطفّيش إضافة

إلى هذا الوضع الدّاخلي والخاص الذي كان يعيشه وادي ميزاب فقد كان هو الآخر متأثرًا بالأحداث الّتي تقع حوليه ،لحقه ما لحق غيره من الأصقاع والبلاد العربية والإسلامية من ضعف في مجالات مختلفة"[1]

1-الحياة السياسية والاجتماعية:

"دخلت الجزائر خلال هذه الفترة جملة من الأحداث والاضطرابات، والعديد من

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، ط1،1992 م، مجلد 2 ص21.

التغيّرات كان سببها هو الاحتلال الفرنسي الذي حلّ بأرضها، فانعكست سلبًا على الشعب الجزائري عامّة وعلى الشّيخ أطفّيش خاصّة.

ومنذ حملة فرنسا على أرض الجزائر 1830م تبنّت عدّة أفكار سيّاسيّة التي كان منها أنّ الجزائر قطعة من فرنسا محاولة بكلّ الوسائل إقناع الرأي العام والخاص بهذه الفكرة لتبسط بعد ذلك سيطرتها على مناطق الجزائر بما فيها الجنوب الكبير ومنه وادي ميزاب مسقط رأس أطفّيش.

وبتاريخ 30 نوفمبر 1883م أعلنت فرنسا إلحاق وادي ميزاب بالأرض الفرنسية ناكثة بذلك معاهدة الحماية التي انتصبت على البلاد سنة 1853، بدعوى أنّ الميزابيّين ساندوا الثائرين وقبلوا بهم في أسواقهم، خلافًا لما جاء في صك الحماية المؤرّخ في 29 أفريل 1853م وكان ممّن تصدى لهذا الإحتلال أطفّيش وأنصاره، فتفطن قائد الجيش الفرنسي آن ذاك، واستدعاه وحاول إغراءه بالأموال إلّا أنّه لم يفلح فخاف هذا القائد على نفسه وجنده من ردّة فعل أهل ميزاب لما كانوا يكنونه للشّيخ أطفّيش من احترام وهبة، فلم يجد من حيلة سوى اعتقاله في خيمة نصبها له، وأبقاه في الأسر أيّامًا حتّى احتلّ غرداية".[1] مع كلّ ذلك كان أطفّيش يتتبع أنباء الدولة العثمانية باهتمام وكان يقف بصراحة ضدّ التأثير الأجنبي في الحياة الإسلامية، سائرًا عبر تيّار

[1] نفسه، ص21.

دعوة المصلح محمّد رشيد رضا وأمثالها ،كما كانت له بعض المراسلات مع الشخصيات العلميّة والسياسية.

وفي ظلّ هذا الجحيم من الاحتلال البغيض عانى الشعب كثيرًا من الأمراض

والفقر وحلّت به النكبات الجسام، ...والزلازل والمجاعات المبيدة وكان هدف الاستعمار من هذا وذاك تفقير الجزائريين وإجبارهم على الهجرة، وترويضهم سياسيا عن طريق الاقتصاد والحصول على الأملاك للأوروبيين الواردين على الجزائر بقصد الاستيطان والاعمار.[1]

"وقد نجح هذا الهدف في مراحله الأولى: فهاجرت أسر بأكملها إلى الشرق

ورحل الشباب والكهول يلتمسون الرزق في فرنسا ذاتها حيث المصانع والمعامل، ولا يخفى في هذا المقام ما فعله الكاردينال "لافيجري" في زمن المجاعة التي حدثت سنة1868م، إذ كان يطوف الأنحاء والقرى التي فتكت بها المجاعة والأمراض والصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله.

إضافة إلى هذا كلّه، فقد كانت الحركات الاجتماعية التي ظهرت في الجزائر

يقضى عليها سريعا، لأنّها في أغلبها تهدد وجود المحتل بالزوال فلا نقابات وطنية، ولا شركات قومية لإدارة الاقتصاد في البلاد، ولا جمعيات لتنظيم الأسرة ونشر الوعي، ولا

[1] نفسه.

مؤسسات للخدمة الاجتماعية على أساس وطني سليم، واللّهم إلّا بعض الجمعيات التي كانت تطلق على نفسها 'الجمعيات الخيرية'أو 'مجالس الصداقة'.

لم يكن أطفّيش بمعزل عن هذا الواقع المرّ لأنّه كان يعي ما يدور حوله ويحسّ به وقلبه يحترق ويتمزّق ألمًا وحزنًا على دينه ووطنه وأبناء جلدته، ويمتلئ غيضًا وحقدًا من هذا الاحتلال، وكان هذا الشعور فيه يزداد ويقوى يومًا بعد يوم، بل نظر فوجد هؤلاء المستعمرين ليسوا إلّا ذبابًا يتهافت على شهواته في الممالك التي يحتلها وبراغيث وبعوضًا طنانًا لاهمّ له إلّا امتصاص دماء الناس فاحتقرهم وأضغن عليهم وكان يغرس في تلاميذه احتقار المستعمرين المتجبرين وبغضهم فدعته غيرته على دينه وعلى قومه إلى القيام بإصلاح ديني واجتماعي خاض فيهما معارك طاحنة مع الجامدين والحاسدين وأنصار الجهل والظلم والفساد".[1]

من أبرز مواقفه الاجتماعية في هذا: ما فعله عندما هاجمت إيطاليا ليبيا سنة 1911م، إذ دعى إلى التبرعات بالسلاح والمال لمساعدة المجاهدين.[2]

2-الحياة الثقافية والدينية:

"كانت المساجد والزوايا والمدارس القرآنية، وهي الغالبة في تلك الحقبة مركز

[1] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر(3)الحديثة، المطبعة التعاونية،1965 م، ص327-328.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، 1998م، مج3، ص270.

إشعاع فكري وثقافي للجزائريين فهي منبع التعلم والتعليم لهم ولأبنائهم، وفيها يتلقون المبادئ الأولى في طلب العلم مع حفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية واللغوية".[1]

"وقد حاولت بعض الزوايا في فترة ما أن تربط بين حفظ القرآن وبرنامج التعليم

النظامي، فكان التلاميذ بها ينتقلون من الابتدائي القرآني إلى المتوسط فالثانوي وكان الجزائريون مستعدين للتطوّر لو وجدوا من يأخذ بيدهم إليه، فبعد أن أمكن لفكرة التعليم أن تنتشر قاموا بتنظيم مدارسهم القرآنية، وأصلحوها وربطوا بين أجزاء التعليم، وأصبح التلميذ في المدرسة الإصلاحية العصرية يقرأ القرآن ويقرأ العلوم الأخرى المكمّلة له كما يدرس العلوم العملية و اللغات.

إلّا أنّ فرنسا تفطنت لوضع هذا التعليم منذ أوائل الإحتلال، ورأت أنّه تعليم

قاعدي تتبني عليه الدراسات الاسلامية في البلاد وفي العالم الإسلامي كلّه فإذا حاربوه ومنعوه ثارت عليه ثائرة السكان، فاتفقت كلمتهم على الابقاء عليه مع تجريده من مؤسساته في المدن والتحكم في المؤدبين من الناحية المالية والفكرية، وقطع التواصل بينه وبين التعليم المتوسط والثانوي، ومنع المؤدبين من تجاوز الحفظ إلى التفسير والتفهيم، أو تعليم أيّ مادّة أخرى معه، ثمّ إنشاء المدارس الضرّة إلى جانبه

[1] الحركة الوطنية الجزائرية، ص23.

والمقصود بها تلك المدارس الفرنسية ذات الطراز العصري والبرنامج العملي والمنهج المتطوّر".[1]

"وحاولوا أن يضعضعوا هذه العلاقة بين السكان والدّين، وبينهم وبين لغتهم ثمّ بينهم وبين أنفسهم".[2]

"ولعلّ بروز أطفّيش في هذه الفترة كان ممّا أسهم في إثراء التاريخ الثقافي للجزائر، وأعظم ما يذكر من حسناته في هذا المقام أحد منازله التي حوّلها إلى معهد يدرّس فيه كل فنون العلم الشرعية".[3] "بل اعتبر أحد مراكز الاشعاع العلمي والفكري في واد ميزاب آن ذاك، قصده تلاميذ من كلّ الأنحاء، بالإضافة إلى أنّ أطفّيش كان من دعاة الإحياء وتجديد اللغة العربية والثورة على الجمود، وبهذا اعتبر كما يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأنّه النهضة العلمية في واد ميزاب".[4]

-حياته وآثاره:

1-اسمه، نسبه ومولده:

"هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ص36-37.
[2] نفسه، ص49.
[3] نفسه، ص273.
[4] نفسه، ص268.

بن إسماعيل أطفّيش. ينتسب إلى الحفصيين العائلة المالكة بالمغرب (625_983/1229_1574م) ويتصل نسبه بالصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واسم أمّه ماما ستّي بنت الحاج سعيد بن عدّون بن يوسف بن قاسم بن عمر بن موسى بن يدَّر.

اشتهرت أسرته بلقب 'أطفّيش' وهو في لغة ميزاب بمعنى 'أمسك تعال كل' من ثلاث مقاطع بهذا الترتيب، وربما هو كناية عن الكرم والجود في هذه العائلة".[1]

"اشتهر أطفيش بين الإباضية بلقب 'القطب' حتى غدا لقبًا مقصورً عليه

ويذكر أنّ الشيخ عبد الله السّالميّ العُماني(ت1914م)هو الذي لقبه بهذا اللقب وهو يدلّ على كونه مرجع العلم في المذهب الإباضي في عصره.

ولا شكّ أنّ الذي أهَّله لهذه المرتبة جملة أعماله وجهوده، فأصبح مرجع الفتوى في وقته وهو ما تدلّ عليه المراسلات الكثيرة التي تركها مما ورد إليه أو أرسله بنفسه.

واختلف في تاريخ ميلاده، إذ تشير بعض المصادر إلى أنّ أطفّيش ولد سنة 1236هـ، وتحدده مصادر أخرى بسنة 1237هـ، إلّا أنّ بعض الباحثين من منطقة ميزاب حقق تاريخ ميلاده، وذلك بالرجوع إلى مؤلفاته التي كتبها بخطّ يده، من خلال اثنين من مؤلفاته بخاصّة:

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، 1965م، ص454.

_فقد قال في ختام مؤلفه: 'شرح شرح الاستعارات' إنّ عمره سنة 1267هـ هو نيّف وعشرون سنة، مما يعني أنّ أبعد احتمال لسنة ميلاده هو سنة 1238هـ إذا كان عمره آنذاك تسعة وعشرين عامًا.

_وفي قصيدة 'الغريب'التي نظم فيها كتاب 'مغني اللبيب'لابن هشام الأنصاري، حدّد تاريخ التأليف وعمره أثناءه، فقال في آخر النظم:

قَدِ انْتَهَى فِي يَوْمِ عِيدِ الفِطْرْ وَ كَانَ الِانْتِهَا بُعَيْدَ الفَجْرِ

فِي سَنَةِ الأَلْفِ وَمَائَتَيْنِ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ بِغَيْرِ مَيْنِ

فَإِنْ أَتَيْتُ فِي نِظَامِي خَطَلَا فَمُكْرَهًا نَظَمْتُهُ لَا بطَلَا

نَظَمْتُهُ ولِيَ سَبْعَةَ عَشَر فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْبَحَ البَشَرْ

وبالنظر إلى هذه المعلومات تم تحديد تاريخ ميلاده سنة 1243هـ الموافق لسنة 1827م، فعمره في 1267هـ هو نيف وعشرون سنة 1260هـ كان عمره سبعة عشر".[1]

"وأمّا مكان ميلاده ففي غرداية، كما يقول هو عن نفسه في بعض مؤلفاته خلافا لما تنقله بعض المصادر من أنّه ولد ببني يزقن، إلّا أن أطفّيش ينسب

[1] ينظر: مصطفى وينتن، الشيخ أطفّيش وثلاثية العلم والجهاد،2011 م، ص8-9.

أحيانا إلى بني يزقن ويقول إنّها بلدته، حيث أقام بها فعاش جلّ حياته فيها ولم يغادرها إلّا لضرورة أو حاجة".[1]

2-نشأته وطلبه للعلم:

"لم يحظ أطفّيش بالعيش طويلا مع أبيه؛ إذ توفي أبوه وله من العمر خمسة أعوام وأصبح يتيمًا، وعاش في كلف إخوته خاصة الأكبر منهم الحاج إبراهيم، والذي كان معينًا لأمّه في تنشئة أخيه وتربيته وتعليمه كذلك.

نشأ أطفّيش ضمن هذه العائلة التي تولّت تربيته وتعليمه، وإعداده لأن يكون ذا شأن وعالِمًا عند كبره، وكان أمل العائلة أن يصبح شيخا ينتفع الناس بعلمه.

هذه العائلة توارثت العلم كابرًا عن كابر، فمن أجداده الشيخ محمد بن عبد العزيز كان من علماء زمانه أخذ العلم عن الشيخ ابن مهدي عيسى بن إسماعيل في'مليكة' وكان فارسا شجاعا قويّ البنيان مهيبا...، وكان من المصلحين في زمانه وكان شيخ المسجد، وهو أوّل من وحّد مهر الزواج في بني يزقن لمّا ساد الجهل وادي ميزاب وأفرط الآباء في المهور...وقد ترك كثيرًا من الصدقات الجارية والأوقاف الثابتة.

أمّا والد أطفّيش؛ الحاج يوسف؛فكان شخصية بارزة في زمانه، ومن أعيان وقته وكان مشهورا بالذكاء والصلاح والثقافة والشجاعة وحبّ العمل. كان من الجيل الفاضل

[1] نفسه.

الذي أنشأ الشيخ عبد العزيز الثميني وأمثاله".[1]

"نال والد أطفّيش حظّا لا بأس به من العلم، وزاد في ثقافته مجالسته للعلماء واختلاطه بالمثقفين، وكان تاجرًا يسافر ببضاعته إلى الشمال فزادت الاسفار في ثقافته...وكان من أنصار النهضة الحديثة، ومن حملتها الشجعان".[2]

"أمّا اجداده من جهة والدته، فقد كانوا من عائلة شريفة وأسرة نبيلة معروفة

بالذكاء والعلم والورع والفضل، وقد نبغ منها عدّة علماء رفعوا راية النهضة الحديثة وأجّجوا حبّ العلم والإصلاح والنهضة في أفراد عائلته.

كان جدّ والدة أطفّيش الأوّل عدّون يسمى'حمّوا والحاج'وكان عالما وارعا شجاعا حكيما، وكان أكبر صديق ونصير للشيخ عبد العزيز الثميني والعالم الجليل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدُّون عم والدة أطفّيش...الذي خلف الشيخ عبد العزيز الثميني في مشيخة المسجد ببني يزقن، وخلفه في الزعامة العلمية في واد ميزاب، وقاد النهضة الحديثة بعده.

[1] كتاب الأعلام، ص12_13.

رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993م، ص239.

[2] نهضة الجزائر، ص291-292.

وكان خاله أخو والدته، الشيخ عمر بن الحاج سعيد'نَتْمُوسْنِي'، عالما جليلا ومفتيا بوادي ميزاب وقد لقّب بـ'نَتْمُوسْنِي'؛ وهو لفض بربري معناه الدين الشريعة؛ لسعة علمه بالشريعة الإسلامية وورعه.

بدأ مشوار أطفّيش التعليمي مذ بلوغه الخامسة من عمره، حيث أدخلته أمّه

الكتاب ليحفظ القرآن الكريم فسطع نبوغه في الكتاب، فكان أقوى التلاميذ حافظة...فختم القرآن وأتقن حفظه واستظهره وهو ابن ثماني سنين ،وأسرع الطّفل إلى دور العلم التي كان فيها بعض تلاميذ الشيخ عبد العزيز مبادئ الشريعة والعربية، فزاحم بركب زملائه في حِلَق العلم، فنال مبادئ منها في الشريعة والعربية، وتطلع إلى المزيد من أساتذته".[1]

الذين لم تسمح لهم الأوقات بسبب الظروف والوظائف أن يشبعوا نفس أطفّيش ليطفئوا ظمأه.

"وكان ممّن تفطن له بعد والديه أخوه الشيخ إبراهيم بن يوسف، حيث وجد فيه الذكاء النادر والحافظة العجيبة والشغف بالعلم والجدّ في طلبه، كما رأى الصلاح والتقوى وسلامة الصّدر والهمة العالية التي تبتعد به عن كل الدّنايا في الأخلاق والأفعال. فأحبّه وقرّبه واعتنى به عناية كبيرة ووجّهه توجيها حسنا، وسايره في العلم على حسب نبوغه وجِدِّه لا يقيده بنظام المدرسة الذي يوضع على حسب المتوسطين والضعفاء.

[1] نفسه، ص294-295-298-299.

فدرس أطفّيش على أخيه كل العلوم الشرعية والعربية كما درس عليه المنطق الحساب والفلك فقد درس عليه التفسير، والحديث، والفقه، وأصول التشريع، وعلم الكلام ومن علوم اللغة النحو والصرف والبلاغة والعروض. كما درس تاريخ الرسول صلّى الله عليه وسلّم. والخلفاء الراشدين، وزوده بالكتب التي درس فيها التّاريخ الإسلاميّ كله وتاريخ العالم".[1]

"ولم يكتف أطفّيش بما يقدم له من دروس العلم، ولم يقيد نفسه بها بل اعتمد على نفسه، وأطلق العنان لها في الازدياد بالعلم، والبحث عمّا يشفي غليله، حتى صار لا يبدأ في دراسة كتاب أو متن إلّا وأكمله بنفسه، وصار في غنى عن الأستاذ الذي يدرسه. وأنه لا يبدأ الكتاب في فن جديد ويدرس فيه بابا أو ما مابين على الأستاذ ويعرف موضوعه، حتى يختم الكتاب بنفسه ويستغني في ذلك الفن عن أستاذه".[2]

"وممّا نقل عنه بهذا الصدد أنّه درس مرّة كتاب'الأجرومية'في مبادئ النحو على اخيه فلم يتم الباب الثاني عنه، وهو في علامات الإعراب، حتى ختم الكتاب بنفسه وفهم الأجرومية كلها وحفظها، وقال لأستاذه 'حسبي من دروسك فيها، إن شئت قرأت لك الأبواب كلها وشرحت لك ما فيها".[3]

[1] نفسه، ص301.

[2] نفسه، ص302.

[3] نفسه، ص301.

"كما كان يتردد على دروس الشيخ محمد آزبار، شيخ وادي ميزاب وقتئذ وكان شخصية دينية اجتماعية كبيرة، كما استفاد أطفّيش من الشيخ عبد العزيز الثميني، بل كان ينوه به، ويعتدّ به في كل مناسبة، وذلك من خلال مكتبته النفيسة التي جعل عيسى؛ ابن الشيخ الثميني؛ مفاتحها في يد أطفّيش، ودعاه للاستفادة من مؤلفات والده وكتبه قائلا له:'هذه كتب والدي ومؤلفاته تحت تصرفك، فخذ منها ما شئت في أي وقت شئت".[1]

"وقد تزوج امرأة بنت عالم، كانت قد ورثت خزانة أبيها من الكتب، كما كان القطب في شبابه يزور الشيخ 'بابا بن يونس'شيخ مسجد غرداية مرة في الأسبوع فيقصد دار التلاميذ في مسجد غرداية، فيفتح له الشيخ 'بابا'خزانة كتب دار التلاميذ فيستعير منها ما يشاء فيقرأها ثم يردها، ويأخذ غيرها في الأسبوع التالي".[2]

"وبهذه الهمة العالية والعصامية في طلب العلم وتحصيله، وخزائن الكتب والشغف بالمطالعة والقراءة، وإتعاب النفس وإجهادها، وسهر الليالي في ذلك استطاع أطفّيش أن يُكوِّن نفسه، ويقتحم ميدان التدريس والتعليم والتأليف من بابه الواسع، ويدخل باب الدعوة والإصلاح، ويزاحم العلماء بالركب، بل ظهر على علماء بلدته ثم

[1] نهضة الجزائر، ص303.

[2] نفسه، ص305.

على علماء وادي ميزاب"[1]. "بل نقل عن بعضهم أنه بلغ درجة الاجتهاد، وصار مرجعا في الفتوى".[2]

والذي يضم بداخله مكتبة غنية تزخر بأنواع الكتب، في مختلف العلوم والفنون وهي دليل صريح على سعة علم هذا الرجل، وغرامه بالكتب والتأليف.

3-شيوخه وتلاميذه:

اتسع العمر للقطب فعاش بضعا وتسعين سنة، شهد فيها كبار العلماء

والمصلحين في عصره، فأخذ عنهم وتتلمذ عليهم، على أن المصادر التي ترجمت لأطفّيش لا تذكر أنهم كثر، أما تلاميذه فقد فقد تخرجت على يده أجيال من طلاب العلم، أصبحوا فيما بعد علماء ودعاة، واصّلوا قيادة الدعوة والإصلاح في وادي ميزاب وخارجها، ونهضوا بهما بعد وفاة شيخهم أطفّيش.

أ-شيوخه:

فمن أهم شيوخه الذين تتلمذ عليهم:

"ـأخوه الشيخ إبراهيم بن يوسف:من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني.

سافر إلى عمان ومصر، وأتم دراسته فيهما، وعند رجوعه لازمه أطفّيش وأخذ

[1] تاريخ الجزائر الثقافي: 3، ص 366.

[2] نفسه: 3، ص 267.

عنه كل مفاتيح العلوم، وهو صاحب الفضل الكبير عليه.

وقد أكثر أطفّيش من ذكره، في تآليفه و الاشادة به وبفضله عليه وبترده عليه لأخذ العلم وضمن كلّ ذلك قصيدة خاصة في مدحه".[1]

"_الشيخ محمد بن عيسى آزبار: كان شيخ وادي ميزاب وقتئذ، من تلاميذة الشيخ عبد العزيز الثميني، سافر إلى عمان ومصر ثم رجع مدرسا وواعضا. ترأس حلقة العزّابة ببني يزقن، ثم حلقات وادي المزاب، وكان من المصلحين وقد تردد الشيخ أطفّيش عليه كثيرا".[2]

"_الشيخ عمر بن صالح[3]: من أهل العلم، عاصر الشيخ عبد العزيز الثميني، وكان قاضي القضاة بغرداية.

ب-تلاميذته:

أما تلاميذه فكثيرون فقد قصده التلاميذ من مناطق مختلفة يمكن الاقتصار على بعض ممن كانت لهم في حياتهم وبعد مماتهم آثار واضحة في العلم والدعوة والإصلاح وهم:

[1] نهضة الجزائر، ص28.

_الشيخ أطفّيش وثلاثية العلم، ص18

[2] نفسه، ص18

[3] نهضة الجزائر، ص86.

1-الشيخ الحاج صالح بن عمر لعِلي: درس بمعهد الشيخ أطفّيش، وسافر إلى الحجاز مرتين وحضر أثناء الرحلتين دروس الزيتونة والأزهر، ولما رجع تولى التدريس وفتح دارا خاصة لذلك، وترأس مجلس العزّابة واشتغل بالإصلاح الاجتماعي، له من المؤلفات:

_القول الوجيز في تفسير كلام الله العزيز:وهو غير كامل ابتدأه ووصل فيه إلى أواخر سورة البقرة.

_"حواش:على كتاب النيل وشفاء العليل، كتاب الإيضاح، كتاب قواعد الإسلام، كتاب الوضع".[1]

وما يزال معظم تراثه مخطوطا، وقد توفي ببني يزقن سنة 1347هـ.

2-سليمان باشا الباروني:من أهل جادوا بنفوسة(ليبيا)، درس بجامع الزيتونة، ثم انتقل إلى وادي ميزاب ليتعلَّم على الشيخ أطفّيش، وانتقل إلى الأزهر.

واهتم بالفكر والسياسة كثيرا، أنشأ مطبعة الأزهر البارونية بمصر، وطبع فيها كتابه 'الأزهر الرياضية في أئمة وملوك الإباضية' وديوانه الشعري. وأصدر جريدة 'الأسد الإسلامي' وقاوم الاستعمار الإيطالي، وتوفي بالهند سنة 1359هـ.

[1] سيأتي الكلام على كل المصنفات آخر هذا الفصل، في آثار أطفيش العلمية.

3-أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفّيش:من أبرز تلامذة أطفيش تعلم أولا بالكتّاب ثم دخل حلقة أطفّيش، ثم رحل إلى تونس حوالي سنة 1335ه فنشط ضمن الحركة الوطنية فيها.

اشتهر بمقاومته للاستعمار، وانشغاله بأوضاع المسلمين في عصره، ليتم إبعاده إلى مصر، وبذلك فتح الباب أمامه ليواصل نشاطه الفكري والسياسي فأصدر مجلة 'المنهاج' ونشر فيها أفكاره، وقام بأسفار للدّعوة في 'زنجبار'سنة 1366 ه،وعمل فيدار الكتب المصرية من سنة 1359ه إلى وفاته، وله أعمال كثيرة منها:

'الدعاية إلى سبيل المؤمنين'، 'تاريخ الإباضية'، بالإضافة إلى جهوده في تحقيق الكتب ونشره التراث الاسلامي وإليه يعود الفضل في طباعة أكثر كتب أطفّيش، توفي سنة 1385ه، ودفن بمصر".[1]

4-حمدي أبو اليقضان إبراهيم بن عيسى:" من أهل القراءة، تعلم أوّلا بالكتّاب ثم التحق بمدرسة الشيخ الحاج عمر بن يحيى، فحفظ جملة من المتون ومبادئ العلم أهلته للجلوس إلى حلقة أطفيش، فلازم الشيخ وحضي لديه بمكانة خاصة، شارك في أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من أعضائها البارزين الذين شاركوا في نشر الوعي وبعث النهضة في نفوس الجزائريين، وانتخب عضو في إدارة الجمعية وعين نائبا لأمين المال.

[1] نهضة الجزائر، ص87.

استعمل الشيخ أبو اليقضان الصحافة وسيلة لإظهار معارضته للاستعمار، وكان رائد الصحافة الجزائرية، أصدر ثماني صحف متتالية كلما صودرت واحدة جدّد إصدار أخرى غيرها، لم يستسلم وواصل الجهاد حتى وافته المنية سنة 1973 م.

هذه نماذج من تلاميذ أطفّيش، كانوا أثرا منه في حب العمل والاستمرار فيه، والإصرار على تبليغ أمانة الدعوة الاسلامية والذود عن حياصنها، أفردتكم بشيء من الترجمة لأبين جليل قدر العلم وعظيم الرعاية وبالغ التأثير التي أحاطت حياتهم من علم الشيخ أطفّيش آدابه وعمله".[1]

-آثاره العلمية:[2]

أولى الشيخ أطفّيش التأليف أهمية وعناية كبرى إذ بدأ فيه وعمره ست عشرة سنة، استمر فيه لا ينقطع بتغيير الأحوال والتنقّلات، فألف وهو مقيم، وهو مسافر، لذا أكثر إنتاجه وتنوع حتى صعب حصره، ومن أسباب كثرة المؤلفات ودواعي التأليف عنده مايلي:

1-الاستجابة لرغبة الناس:يلتقي أطفّيش مع غيره من العلماء في هذا، فكثيرا ما كانت مؤلفاته جوابا لطلب صديق، أو سائلا عن علم، أو راغب فيه، وتدلنا مراسلات أطفّيش

[1] نفسه، ص87.

[2] أنظر: كتاب 'آراء الشيخ أطفّيش العقدية'، و'الشيخ أطفّيش وثلاثية العلم والعمل والجهاد' لمصطفى ونتن لمعرفة طريقته في تقسيم مؤلفات الشيخ وترتيبها.

على أنّ كثيرا من كتبه ألفها مستجيبا لطلب الغير وإلحاحهم، ونجد من ذلك مجموعة رسائل من العمانيين في الفترة بين 1298 هـ/وبين 1305 هـ؛فيها 44 رسالة أغلبها طلب تأليف كتاب في موضوع أو شرح متن.

2-تحمل الشيخ واجب التأليف عن الناس حتى يشتغلوا بالعمل، وكان يشعر بأنّ التأليف واجب كفائي لا ينفي أن يشغل الناس به، ويترك العمل الذي يصلح دنياهم.

3-البيئة التي عاش فيها وعانى من نقص المصادر فيها، فرأى أن يسده بتأليف ليمهد السبيل لتلاميذه لاكتساب العلم والمعرفة.

4- عمل الشيخ على أن يكون مجدد عصره، ويظهر ذلك في جهوده التي قدّمها في علوم الشريعة بخاصة.

"اختلف الدارسون في تحديد عدد مؤلفات أطفّيش وحول عناوينها كذلك، وقدرها البعض بحوالي 300 كتاب، واكتفى الباقون ممن تحدث في الموضوع بالإشارة إلى كثرة مؤلفاته وذكر بعض عناوينها.

-ويرجع هذا السبب في هذا الاختلاف الواسع إلى الوضعية التي يوجد عليها تراث أطفّيش وللوصول إلى ضبط أعماله ينبغي القيام باستقصاء ما على رفوف المكتبات وما في ثنايا الكتب التي ألفها الشيخ لأنه كثيرا ما يشير فيها إلى مؤلفاته والواقع

أن مؤلفات أطفّيش وصلت مائة وأربعة وثلاثين، أثر منها الكتب ومنها الرسائل ما عدا المراسلات والتقريرات.

وقد تنوعت هذه الآثار لتشمل فنونا منوعة منها: أصول الدين والعقيدة، الفقه وأصوله وعلوم اللغة، والتفسير، والحديث، والمنطق، ثم آثارا أخرى من تاريخ وادي ميزاب والحساب، والفلك والفلاحة والطب، وهي أعمال تدل في مجملها على سعة اطلاع الشيخ واشتغاله بعلوم متعددة ليس تأليفا بل تعلما وتدريسا أيضا ومن خلال هذا يمكن أن نضع تصورا شاملا عن منهج الشيخ وفكره، فقد كان ملما بجوانب الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في عصره، وانشغل بقضيتين دون غيرهما هما مقاومة الاستعمار وإقامة نهضة علمية بواد ميزاب، وقد تجلّى ذلك جليا في آثاره وفي حياته بمختلف مراحلها".[1]

أ-المؤلفات الذاتية:[2]

1-'أجور الشهور على مرور الدهور'توجد منه نسخة في مكتبة القطب وطبع مرات عديدة.

[1] أمحمد لقدي، محمد بن يوسف أطفّيش وجهوده البلاغية،(20 مارس 2018).
www.montadaELdjalfa.com

[2] نفسه.

2-'أساس الطاعات والنيات بجميع العبادات' وذكر بعنوان كتاب 'النيات على جميع العبادات'في النسخة المطبوعة ضمن مجموع خمسة كتب بمصر وتوجد نسخة منه مخطوطة في مكتبة الحاج سعيد محمد أيوب بغرداية.

ب-المختصرات:[1]

1-'جامع الوضع والحاشية'، كتاب'الوضع'لأبي زكريا يحيى بن الخير الجناوني و'الحاشية' لأبي عبد الله محمد عمرو بن أبي ستة، توجد منه نسخة بمكتبة القطب وطبع سنة 1306هـ، ثم ثانية بعنوان 'الجامع الصغير'في مطابع سجل العرب، بنشر وزارة التراث القومي والثقافي في عمان سنة 1406 هـ.

2-'مختصر شرح المرادي على الألفية'توجد نسخة منه في مكتبة القطب.

ج-الشروح:[2]

1-'الانشراح في بيان شواهد التلخيص والمفتاح'توجد نسخة منه في مكتبة القطب.

2-'تيسير التفسير'، تفسير القرآن الكريم توجد منه نسختان إحداهما غير كاملة في مكتبة القطب وطبع أول مرة بالجزائر سنة 1326 هـ. ثم بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، بنشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان سنة 1986 م، ثم حققه الشيخ إبراهيم طلال وطبع بالمطبعة العربية، غرداية، الجزائر وانتهى من تحقيقه 1424 هـ.

[1] نفسه.

[2] نفسه.

د-الحواشي:

1-"' إيضاح الدليل إلى علم الخليل' وهو حاشية على شرح الخزرجية لأبي زكريا الأنصاري توجد نسخة منها بخط المؤلف في مكتبة القطب مؤرخة سنة 1273 هـ".[1]

2-'حاشية أبي مسألة' أو 'حواشي علي أبي مألة'وهو كتاب فقه لأبي العباس أحمد بن محمد بن بدر، توجد نسخة منه في مكتبة القطب بخط سليمان بن أبي بكر بن داوود المطهري، مؤرخة سنة 1317 هـ.

هـ-ترتيب الكتب:[2]

1-ترتيب 'تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديب' وهوكتاب للشيخ عمر بن رمضان التلاتي، توجد منه نسخة بخط المؤلف، بمكتبة القطب.

2-ترتيب كتاب'اللقط' للشيخ عمر بن رمضان الثلاثي، توجد منه نسخ كثيرة منها اثنتان بمكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب.

3-'تفقيه الغامر بترتيب لفظ موسى بن عامر' طبع بمصر سنة 1312 هـ، وتوجد فيه نسخة بمكتبة القطب.

[1] نفسه.

[2] نفسه.

و-الرسائل والخطب:[1]

1-'حكم بلل أهل الكتاب' ويسمى أيضا 'جواب إلى بعض المالكية' توجد منه نسخة بمكتبة القطب.

2-'خطبة لأهل نفوسة' توجد منه نسخة بمكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب .

3-'النحلة في غرس النخلة'.

ز-الردود:[2]

1-'إباحة معاملة الكارطة بلا ربا ولا فارطة' توجد منه نسختان بمكتبةالاستقامة.

2-'حاشية المنصف في نفي تأويل المحرف'منه نسختان الأولى في مكتبة القطب بخط المؤلف والأخرى بمكتبة الشيخ الحاج محمد سعيد بن أيوب ضمن مجموعة.

ح-القصائد والمنظومات:[3]

1-'البائية' حول أوضاع أهل عصره.

2-'لامية' يشتكي فيها ما أصابه من بعض الناس.

_شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

[1] نفسه.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

1-'رائية' في غزوة بدر.

_شعره في مدح الشخصيات المعاصرة:

1-'تعزية علي بن حمود' سلطان زنجبار.

2- مدح أخيه إبراهيم بن يوسف.

ط-المنظومات:[1]

1-'أرجوزة الأحكام'توجد منها نسخ في مكتبة القطب ومكتبة الاستقامة ومكتبة الشيخ الحاج محمد بن أيوب.

2-'جامع حرف ورش' منه نسخة بمكتبة القطب والاستقامة.

"كانت هذه أهم مؤلفات وتصانيف أطفّيش، من غير التقريرات والمراسلات للكتب المنسوبة، مما حوته المكتبات العامرة بوادي ميزاب، للجهود الحثيثة للباحثين في تلك المنطقة بجمع تراث الشيخ خاصة وعلماء الإباضية في غرداية عامة مع ذلك يبقى البحث متواصلا في تحصيل المفقود من كتبه التي ذكرها في ثنايا كتبه السابقة وقد أوصلها بعض الباحثين إلى اثني عشر مؤلَّفا".[2]

-وفاته:

[1] نفسه.

[2] الشيخ أطفّيش وثلاثية العلم، ص68-76.

"توفي أطفّيش وعمره 89 سنة بعد مرض ألمّ به ثمانية أيّام في يوم السبت

23 ربيع الآخر 1332 هـ الموافق لـ 21 مارس 1914 م وقد رثاه الكثير من الشعراء بقصائد طويلة، منهم تلميذه أبو اليقضان الذي بكى القطب بقصيدة

طويلة وكان حينئذ بتونس يواصل دراسته. قال فيها:[1]

عَجَبًا لِهَذَا الدَّهْرِ لَا يَصْفُو لِذِي عَقْلٍ وَلَا يَخْلُو مِنَ الأَكْدَارْ

لَا جَامَلَ الفُضَلَاء لَا خَلَّى سَبَب لَهُمْ وَلَا أَخْنَى عَلَى الأَشْرَارْ

إلى أن قال:

وُجِّهْتُ جَحَفْلَكَ العَرْمُومُ نَحْوَنَا فَأَصَابَنَا بِقَنَابِلِ الأَضْرَار

لَمْ يَكْفِ ذَا حَتَّى نَظَرْتُ لِشَيْخِنَا شَذَرًا وَهَذَا قَبْلَ أَخْذِ الثَّأْرِ

فَرَمَيْتُهُ بِسِهَامِ مَوْتٍ بَعْدَمَا أَحْيَاكَ ثُمَّ كَسَاكَ ثَوْبُ فَخَارْ

[1] نهضة الجزائر(1)، ص387.

2-المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف:

1-الشكل الخارجي للكتاب:'ربيع البديع' كتاب لمؤلفه محمد بن يوسف أطفّيش، متوسط الحجم ينتهي ترقيمه عند الصفحة 431، مغلف تغليفا عاديا حيث نرى في الواجهة الأمامية صورة للشيخ أطفّيش ثم أعلاها كتب عنوان الكتاب بخط أحمر عريض يليه اسم المؤلف بخط متوسط أسود مع شعار المجلس الأعلى للغة العربية أعلى كل هذا، أما الواجهة الخلفية فيظهر لنا من جديد عنوان الكتاب واسم المؤلف فنبذة عن الكتاب.

نرى أن التصميم الخارجي للكتاب بسيط وغير معقد كما أن الألوان متباينة .

هذا الكتاب في البلاغة العربية، يشمل مائة تسعة وتسعين بابا في حوالي أرباع مائة وواحد وثلاثون صفحة، جمع أكبر عدد من البديعيات، نشر من طرف المجلس الأعلى للغة العربية بتحقيق من طرف الدكتور محمد زمري.

اعتمد في تأليفه لكتابه أي الشيخ أطفّيش مجموعة من المصادر والمراجع المهمة في البلاغة.

عند بدئنا تصفح الكتاب نجده قد بدأه بتصدير فمقدمة ثم نسخ من المخطوطة الأصلية ومباشرة بعد ذلك نجده يباشر في شرح أبوابه بداية من باب الطباق إلى باب التلميح

وفي الأخير يذكر فهارس الشواهد التي استعملها والأعلام الذين ذكرهم منتهيا بقائمة المصادر والمراجع.

2-سبب التسمية: ربيع البديع أحد كتب الشيخ الأربعة في علم البلاغة، وقد جعله الشيخ في فن البديع وسماه ربيع البديع كما جاء بآخر النسخة التي كتبها تخطه فقال:"إلى هنا تم كلامه واختتم. تم ربيع البديع بحمد الله تبارك وتعالى وإحسانه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم."[1]

وقد جاء ذكر هذا المؤلف، في بعض كتب الشيخ الأخرى كقوله مثلا في كتابه في علم المعاني والذي سماه 'تخليص العاني من ريقه جهل المعاني': والصاحب في عرف الكتابة من يكتب للأمير كما يريد في تلويح العبارة وبلاغتها لا كما يريد الأمير. والصابي من يكتب كما يؤمر كما ذكرته في ربيع البديع.[2]

أ-أبوابه وفصوله:

قسّم الشيخ كتابه قسمين: قسم يزيّن المعنى سواء أزيّن اللفظ أم لم يزيّنه، وقسم يزيّن اللفظ فقط؛ فاحتوى القسم الأول على 141 بابا بينما اشتمل القسم الأخير على 58 بابا فقط وعلى هذا يكون مجموع ما ذكره الشيخ من البديع 199 بابا فأبواب القسم

[1] محمد بن يوسف أطفّيش، كتاب ربيع البديع، ص388.

[2] محمد بن يوسف أطفيش، تخليص المعاني من ربقة جهل المعاني.

الأول ابتدأها من باب الطباق وصولا إلى باب الاقتضاب البعيد من براعة التخلص. وأما أبواب القسم الأخير فابتدأها من باب الجناس وصولا إلى باب التلميح.

وهذا الكم الهائل من الأبواب يدل على إحاطة الشيخ بتقاسيم السابقين كالسيوطي ويلاحظ أن الشيخ سار في شرح تلك الأبواب وفق ما كان يراه يحقق المقصود، ويزيل الغموض والالتباس والذي به تحقق الغاية التعليمية، ولم يكن يهمه إن توسع في الشرح أولا في ذكر ماله صلة بالباب أو غير ذلك. وبالتالي فقد جاءت بعض الأبواب أطول تناولا من حيث الشرح أكثر من بعض كما أن بعضها الآخر اختصره الشيخ في سطر أو سطرين.

فمثلا في باب الطباق توسع كثيرا حتى أوصله إلى11 صفحة ولم يكتف بتعريف الباب فقط بل لجأ إلى إيراد الشواهد فيه، بل توسع في الكلام على تقاسيم التقابل بين الموجودين من جهة وبين الوجودي والعدمي من جهة أخرى، وراح يسوق الامثلة على كل تقسيم ذاكرا آراء العلماء فيه، ومقابل هذا التوسع اختصر القول في بعض الأبواب فلم يزد فيها على سطر أو سطرين كما فعل في باب التأنيس وكذلك فعل في باب الجناس اللفظي وهو من القسم الثاني.

ب-مصادره:

1-الكتب:"اعتمد أطفّيش على جملة لا بأس بها من المصادر، فذكر منها صراحة 25 كتابا، ولمح إلى بعضها من خلال جزمه بعزوها إلى صاحبها في نصوص نقلها بحرفيتها، والتي ثبت أنها منه بحرفيتها أحيانا، وبتصرف أحيانا أخرى، كما أنه قد أشار إلى بعض كتبه والتي ألفها في بعض الفنون".

فمن الكتب التي أوردها صراحة وأفاد منها كتاب'البديع لابن المعتز'و'الإيضاح' و'تلخيص المفتاح للقزويني'و'عروس الأفراح لابن السبكي'". [1]

ومن الكتب التي نقل منها ولم يصرح باسمها:'المفتاح للسكاكي'و'نقد الشعر لقدامة بن جعفر.[2]

كما أشار الشيخ إلى بعض مؤلفاته مثل: هميان، الزاد إلى دار المعاد' وهو أول تفاسيره.

2-الأعلام: "حفل الكتاب بأسماء كثيرة من العلماء في فنون شتى منهم أهل البلاغة والأدب،ومنهم الفقهاء، ومنهم اللغويون والمفسرون ومنهم الشعراء.

فمن أهل الأدب والبلاغة: أبو هلال العسكري ابن رشيق القيرواني...

ومن أصحاب البديعيات: ابن القصاب وفرج بن حرز...

[1] أمحمد لقدي، محمد بن يوسف أطفيش وجهوده البلاغية.
www.montadaELdjalfa.com

[2] نفسه.

ومن الشعراء: امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والتنبي...وقد وصل عدد الشعراء في هذا الكتاب إلى ستين شاعرا.

كما أفاد الشيخ من أعلام آخرين لم يذكرهم بالاسم ولكن بصيغة العموم".[1]

ج-شواهد الكتاب:

تنوعت شواهد الكتاب بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية وأمثال عربية.

وتبع هذا التنوع غزارة إيراد الأدلة والأمثلة في أغلب الأبواب. مما سمح بإثراء الدرس البلاغي مع محاولة الإحاطة بجل أنواع البديع.

1-القرآن الكريم:كثيرة هي الآيات القرآنية التي استشهد بها أطفّيش في كتابه ربيع البديع، فقد وصل عددها على الستمائة وشملت أغلب السور القرآنية، وحازت البقرة على النصيب الأوفر من الكتاب وقد كان استشهاد الشيخ بالقرآن غير منتظم وغير متوازن، فتارة يجيء الباب غزيرا بالآيات كما في'باب الانسجام' حيث أورد فيه ما يعرب من خمسين آية، وكذلك في'باب إرسال المثل'فقد ساق فيه قرابة الثلاثين آية.بينما خلف بعض الأبواب من القرآن تماما، ك'باب التلاف المعنى مع الوزن' و'باب التفريع'و'باب الاستتباع'و'باب حسن الاستتباع'و'باب الاستثناء'

[1] نفسه.

و'باب التخيير'و'باب الاقتدار'و'باب الجناس التام المستوفي'و'باب جناس القلب' و'باب التجزية'و'باب التشطير'و'باب التطريز'و'باب التضمين'".[1]

2-الحديث الشريف:

حوى الكتاب جملة لا بأس بها من الأحاديث النبوية الشريفة، وقد زاد عددها على الثلاثين منها أثران موقوفان، أحدهما عن علي بن أبي طالب_كرم الله وجهه_ وهو قوله:'مَا لابْنِ آدَمَ ولِفَخْرْ، وإنما أَقَلُّهُ نُطْفَةٌ وَآخِرُهُ جِيفَةٌ'، وقد ذكر الشيخ أطفّيش أن الأخضري رجح رفعه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم والثاني قول بعض الصحابة:'كُنَّا إِذَا لحْمَرّ البأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله'.

وقد أورد الشيخ تلك الأحاديث في أبواب مختلفة، فكان يجعلها أساس الاستشهاد في بعض الأبواب حيث لا يكون القرآن، وربما عضد به في بعض الأحيان استشهاده على وقوع نوع من أنواع البديع في الكلام النبوي بعد استيفاء الباب للشواهد القرآنية أو الشعرية.

ومن الأحاديث الواردة في الكتاب: قوله عليه الصلاة والسلام:'الصُفْرَةُ جَمَالُ أَهْلِ الجَنَّة'، وقوله'لا يَقَعُ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهْ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شيءٍ إلَّا شَانَهُ'".[2]

3-كلام العرب:

[1] نفسه.

[2] نفسه.

أ-الشعر: "تنوعت الشواهد الشعرية بين أشعار جاهلية وأخرى أموية وثالثة عباسية، وهكذا إلى القرن العاشر، كاستشهاده بأبيات الشيخ الأخضري والشيخ فرج بن محرز صاحب البديعية وكلاهما من أعيان القرن العاشر، بل إن الشيخ _رحمه الله_أورد بيتا له في تأليفه هو مستشهدا به في باب لزوم ما يلزم، وهو قوله:

تَبَارَكَ منْ أَحْيَا الفتَى فَتَنَوَّرا فَشَابَ بهَا واعتَادَ لا متَطَوِّرَا

وقصد بقوله 'فتنورا'أي: سكن نوّرة، وهي قرية من قرى ميزاب بغرداية وهي معروفة باسم 'بنورة'.

وقد زاد عدد الشواهد الشعرية (300)الثلاثمائة، وهو كم هائل نظرا لأبواب الكثيرة التي جاء بها الشيخ في كتابه وكان لأصحاب البديعيات النصيب الأوفر في ذلك. كما كان لشعر الحريري في 'مقاماته'حضور ظاهر بين الشعراء وإن كان محسوبا على أهل الأدب".[1]

ب-النثر: "من الشواهد النثرية الكثيرة التي حواها كتاب 'ربيع البديع' ماجاء في مقامات الحريري، التي جعلها الشيخ عمدته في النثر، وذكر منها جملة من النصوص في مقامات متفرقة كإيراده مثلا في 'باب تدبيج الثورية' قول الحريري في المقامة الثالثة عشر المعروفة بالبغدادية والزورائية: (فذ اغبرّ العيش الأخضر. وازور المحبوب

[1] ينظر: نفسه.

الأصفر، اسودّ يومي الأبيض، وابيضّ فؤدي الأسود. حتى أتى لي العدوّ الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر".[1]

ج- الأمثال والأقوال والقصص: "لم يخل الكتاب من الأمثال والأقوال والقصص، وقد استدعى حضور أكثرها ثقافة الشيخ الدينية التي ميزتها تلك الأمثال وتلك القصص وليس هذا المستغرب في الرجل انتهت إليه التقوى في المذهب الإباضي، ليس في القطر الجزائري فحسب بل في العالم الاسلامي حين الإباضيون وغير الإباضيين".[2]

هـ-القيمة العلمية للكتاب:

1- آراؤه وتعليلاته:

تتكرر ظاهرة 'العنديات' في كتب الشيخ، لتدل على ما يراه من رأي، وما يقتنع به من تعليل أو دليل، وقد أمكن رصد بعد ذلك في كتابه هذا، كما يلي:

_في باب التورية، وعند تمثيل لتورية المرشحة، وهي التي تجامع شيئا مما يلازم المعنى القريب، كقوله:"والسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونْ"[3]

[1] ينظر: نفسه.

[2] ينظر: نفسه.

[3] سورة الذاريات (الآية 47).

والمراد بالأيدي المعنى البعيد وهو القدرة، وقد قرن بها ما يلازم المعنى القريب هذه التي هي الجوارح المخصوصة وهي قوله:'بنيناها' إذا البناء يلازم الجارحة ثم انتقل

الشيخ من الاستشهاد إلى ذكر الخلاف في تأويل الآية، بين مذهبي الظاهرية والأشاعرة وخطأهما، ثم بين ما ينبغي أن تفسر به اليد وما ينبغي جَمْل الآية عليه باب البلاغة، كما يراه جائز عنده، فقال: 'وقد كثر الممثلون بالآية هذه والتي قبلها كالسيوطي والقزويني، وقيل: وهو جرى على مذهب أهل الظاهر من المفسرين، يعني غير المحققين ولم يعن الظاهرية، فإنّهم يفسرون الاستواء بالاستقرار، والأيدي بالجوارح فهم مشبّهون أو يزعم من يزعم كذلك ويدعي أنّ ذلك لا يكيف وهم سلف الأشاعرة، وكلا المذهبين خطأ...قال عصام الدين: 'لا تجوز في شيء من أجزاء الكلام من حيث الاستعارة التمثيلية بل هي على ما كانت عليه قبل الاستعارة من كونها حقائق أو مجازات أو مختلفات، بل في المجموع من حيث هو مجموع.

وشدّدوا النكير على من يفسر اليد بالنعمة في 'بلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ'[1]

والأيدي بالقدرة في الآية الأخرى، والاستواء بالقهر والغلبة، واليمين بالقدرة على التورية في ذلك جائزة، لأنه لا يشبه فعل الله بفعل مخلوق ولا فعله بفعل الله شرعا وتحقيقا ولو صحّ باعتبار اللغة والتخيل[2]

[1] سورة المائدة (الآية 64).

[2] ينظر: أحمد لقدي، النص المحقق من كتاب ربيع البديع، ص310..

_وفي باب تأكيد الذم بما شبه المدح، ومعناه تأكيد ذم بذم شبه المدح، وهو عندهم ضربان، الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم على تقدير صفة الذم في صفة المدح كقوله:' فلان لا خير فيه إلا أنّه يتصدق بما يسرقه'.

والضرب الثاني: أن يثبت لشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء يليها صفة ذم أخرى له كقوله: 'فلان فاسق إلا أنه جاهل'[1]. والشيخ رأى رأيا آخر وهو كون الباب على ثلاثة أضرب لا ضربين، وبين ذلك عنده ثم تبين له أنه على صواب، حينما اكتشف فيما بعد أنه وافق رأي من سبقه من أهل العلم كالسعد التفتازاني، فقال: ' وعندي أن الباب على ثلاثة أضرب، الضربين المذكورين. والضرب الثالث أن يؤتي بمستثنى فيه معنى الذم فيه معمول لفعل فيه معنى المدح، نحو: 'ما يعيبك من فلان إلا أنه يسرق' على حد ما مر في الباب...،ثم رأيت الشيخ عمرو. لتلافي ذكر هذا عن 'المطول' ومثل له بقولك: 'لا يستحسن منه إلّا جهله، وهو جاهل لكنه فاسق'،والحمد لله، وهو كذلك في المطوّل '.[2]

_وفي باب الطاعة والعصيان، ساق كلام أبي العلاء المعري في شرحه لبيت أبي الطيب:

يَرُدُّ يَدًا عنْ ثُوْبِهَا وهو قَادِر ويَعْصِي الهَوَى في طَيْفِهَا وهو رَاقِدٌ

[1] نفسه، ص379.

[2] نفسه، ص479.

وهو قوله: فإنه لما معنى البيت أراد أن يقول وهو مستيقظ فعصاه الوزن فعدل إلى وهو راقد، فانقاد معه إلى الجناس المقلوب. ولم يرتض أطفّيش هذا التخريج الذي أتى به المعري، فقال: 'والصواب عندي غير ذلك، بل أراد أنه تعفّف يقظة ونوما مبالغة، والقدرة في الاستيقاظ.[1]

_وفي باب التشطير، الذي هو جعل كل من شطري البيت سجعتين متّفقي الروي مخالفتين لسجعتا الآخر في الروي، توقف الشيخ في مسألة إعرابية وأدلى بدلوه فيها، حينما استشهد بقوله أبي تمام يمدح المعتصم حين فتح عمورية:

تدْبِير مُعْتَصِم بالله منْتَقِم لله مرتَغِبُ فِي الله مُرْتَقِبُ

حين قال: "والظاهر عندي أن_تدبير_خبر لمحذوف أي: فعله تدبر أو تدبيره تدبير أوله تدبير. وقال السعد: هو مبتدأ خبره في البيت الثالث بعده وهو قوله:

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا ولَم يَنْهَدْ إلى بَلَدِ إلا نقدمَةُ جَيْشٌ من الرُّعْبِ

ويجوز أن يكون السّطر: لله مرتغب في الله مرتقب، من الرغبة بالفين المعجمة، ثم الرعب بالمهملة لمعنى الخوف، والعكس".[2]

[1] نفسه، ص479.

[2] نفسه، ص576.

_وفي باب لزوم ما يلزم، الذي هو الاتيان قبل الحرف الذي تبنى عامة الثقافية والفاصلة بحرف واحد أو حركة واحدة أو بهما بيتين أو قرنين فصاعدا، فقد مثل له الشيخ بين من إنشائه هو، قال:

تباركَ منْ أَحْيَا الفَتَى فَتَنَوَّرَا فَشَابَ بِهَا واعْتَادَ هو لا مُطَوِّرَا

ثم أخذ في شرح معنى اللزوم وذكر المذهب المشهور فيه، ثم ذكر مذهبه هو، وحقق ذلك بقوله يشرح بيته أي:'سكن نورة وهي قرية من قرى ميزاب، فلزمت الفتح قبل الراء وهنا مذهبي ومذهب غيري، فمذهبي أن كل ما يكون تركه عيبا فليس من لزوم ما لا يلزم، لأنه إذا جاء به أولا كان لازما حتى تتم القصيدة أو السجعتان، أو بين الرجز وذلك كالتأسيس والردف لزوم الألف في الروي إذا جاءت، وأما الردف بالياء، والواو فتعاقبان فيه، وكما إذا سكِّن الروي التزمت الحركة قبله ولا تبدل بأخرى وأجير تعاقب لضم والكسر فلزوم ذلك عندي لزوم اللازم لا لزوم ما لا يلزم، وذا ما أشبه ذلك. كما أنه إذا جاء بعد الروي حرف من الحروف التي تأتي بعده لا يعدّ ذلك لزوم ما يلزم.

ومذهب غيري أن ذلك كله أيضا من لزوم ما لا يلزم، ووجهه أن الشاعر أو المتكلم لو شاء لترك لتأسيس أو الردف من أول فلا يلزمه بعد بل لا يجوز بعد، فالإتيان به حتى لا يتركه بعد اتيان بما لا يلزم، وكذا الحركة قبل الروي الساكن وما أشبه ذلك، وذلك

كقوله تعالى: "فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ()وأَمَّأ السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر"[1]، فالذي جعله الله لابد منه هو الراء، ومع ذلك أعاد الهاء قلبه وفتحها، فلو في غير القرآن فأما اليتيم فلا تسخر وأما السائل فلا تنهر لصح، ولو قرأت به القرآن لقيل لك بدّلت القرآن، ولم يقل لك أفسدت السجع.[2]

_وفي باب السرقة الظاهرة لمسماة إغارة ومسخا، وسمية إغارة لشبهها بالإغارة على المال وأخذه، ومسخا لشبهها بالمسخ الذي هو تبديل الصورة بما هو قبيح وقد تغير إلى مثل الأول أو أبلغ، وقد يكون المنقول عنه قبيحا فيكون كلام الناقل أقبح، لأنّ السرقة هذه زيادة قبح، ولا سيما إن كان قبح آخر في عبارة الناقل.

واستشكل أطفّيش اعتبار بعضهم أنه قد يكون كلام الناقل بليغا أو أبلغ والمنقول دونه، فكيف سمي مسخا؟ فبين رحمه الله رأيه فقال: "والجواب عندي أن القبح لازم له من حيث انه سرقة ولو كلن في ذاته بليغا أو أبلغ، أو سميت بذلك لأن القبح قد يجيء في عبارة السارق غير قبح السرقة، والتسمية يكتفي فيها بأدنى مناسبة، أو مجاز مرسل لعلاقة الاطلاق أو التقييد أو كليهما على أن إيراد بالمسخ مطلق التحويل المصورة أخرى لا يفيد القبح".[3]

[1] سورة الضحى (الآية9_10).
[2] ينظر: النص المحقق، ص604.
[3] نفسه، ص613.

ومن المسائل التي قال فيها برأيه أيضا ولكن من غير جزم، واحتاج فيها إلى من يعتضد برأيه من أهل الفن، واستعمل فيها كلمات من نحو'ظهر لي، والظاهر، كذا ظهر لي' قوله:

_ففي باب الطباق، وعند كلامه عن التقابل بين المتضاعفين، عرض أطفيش ما تنازعه أهل الفن في عد هذا التقابل من باب الطباق أو من باب مراعاة النظير. وقد جنح الشيخ إلى اعتبار من الطباق، غير أنه احتاج إلى من يوافقه في رأيه وبخاصة حين استشكل قول الفياث والفنزي والقائلين من مراعاة النظير.

قال الشيخ: 'ثم إنه لا يخفى ما في المتضايفين من اعتبار التقابل كالأبوة والأخوة، ولا يعتبر لتقابل في مراعات النظير، وهو نوع من البديع، يأتي إن شاء الله تعالى. فصحّ أن المتضايفين من الطباق كذا ظهر لي بعدما استشكلت قول الغياث الفنري أنها من مراعات النظير، ثم رأيت والحمد لله يس قال:'إنهما من الطباق وإنه كيف يكونان من مراعاة النظير ومراعاة النظير مشروط فيها أن لا يكون بين الأمرين والأمور تقابل'ثم ساق الشيخ رأي السيد الموافق لقول الفياث والفنري، لكن الشيخ عبد الحكم التونسي رد عليه وقرر بأنها من باب الطباق باعتبار ومن باب مراعاة النظير باعتبار آخر، وهو الرأي الذي وقع في ذهن أطفّيش قبل أن يطلع على رد التونسي قال أطفّيش:"ورأيت أن السيد قال: لا مقابلة في التضايف، فهو نسب مراعاة النظير كالفياث والفنري وأجاب

عبد الحكم التونسي بأنهما من باب مراعاة النظير من حيث تلازمهما في الذهن والخارج.

ومن باب الطباق من حيث أنهما لا يجتمعان في موضع واحد كما حكاه الصبّان، ومن قبل اطلاعي على ذلك خطر في قلبي أنهما من الطباق باعتبار ومن مراعاة النظير باعتبار، ثم تنقل ذهني سريعا إلى ما ذكرته أولا من أنهما من الطباق، ولم فيهما من التقابل والحمد لله كثيرا".[1]

_وفي باب التقسيم استشهد الشيخ بقول المتلمس:

ولَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمْ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الأذِلَّانْ غَيْرَ الحَيِّ والوَتَد

هَذَا عَلى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِزَمَنِه وذا يَشِيخُ فَلَا يُرْثَى لَهُ أَحَدٌ

واعتبر أن'هذا أشار به الشاعر إلى عبر الحي و_ذا_إلى الوتد وذلك أنه ذكر العير والوتد ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف وإلى الثاني الشيخ على التعيين ثم حقق لعبر والوتد ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف وإلى الثاني الشبح على التعيين ثم حقق لعير والوتد لانا نقول يكفي في التعيين تعيين المتكلم إن هذا لكذا في عبارته ولو لم يفهم السامع حقيقة تعينه، وهذا ما ظهر لي في الجواب ثم رأيت جوابا للسعد غير هذا وهو أن 'ذا' أقرب من'هذا'، فهذا للبعيد بالنسبة إلى ذا بدليل 'هاء'التنبيه، فلو لا

[1] ينظر: النص المحقق، ص263.

بعض لبعد لم يحتج لتنبيه، و مثل هذا معتبر في علم البلاغة ولو لم يتبة في النحو واللغة. انتهى بإيضاح مني، وجوابي أحسن إن شاء الله تعالى.[1]

_وفي باب حسن التعليل، تكلّم أطفّيش على ما ألحق به مما بني على الشكّ من التعليل، وإنّما لم يجعلوه من حسن التعليل لأنّ في حسن التعليل ادعاء عليه شيء لوصف، والإسرار على ادعائهما وإثباتها له.

والشك ينفي القطع، واستشهد له يقول أبي تمام:"

رَبِّي شَفَعَتْ رِيحُ الصِّبَى بِنَسِيمِهَا إِلَى المُزْن حتَّى جَادَهَا وَهُو هَامِعُ

كَأَنَّ السَّحَاب الغِر غَيَّبن نَحْتَهَا حبًّا فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامِعُ

وقدّر_عنه شرحه للبيت_أنّ يكون معنى الغر البياض الذي يدل على الحسن والقبول وهو فعلا ما ذهب إليه الشيخ الصبان قبله.

قال أطفّيش:"الغرّ جمع غرّاء، فإنّ واحد السحاب سحابة غرّاء، والمراد لسحاب الماطر الغزير الماء، وليس يشهر وصفها بالبياض، لكن قد يكون فيها بعض بياض أو يبيض أطرافها، ولذلك وصفها بالغر أي البيض، ولعله أراد بالبياض الحسن والقبول ولو كانت

[1] نفسه، ص329.

حمراء أو سوداء، كذا ظهر لي، ثم رأيت الصبّان أراد البيض، لأنها أكثر حبّا من السوداء".[1]

ومن المسائل التي رد فيها على أصحابها، أو رأى فيها رأيا مخالف لغيره تلك التي أشار إليها في كتابه بنحو كلمة'وليس كذلك'، وهذه بعضها:

-في باب التورية، رد استشهاد بعضهم بقول_النبي صلى الله عليه وسلم_للأشعب بن قيس:'هذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين' فقال: 'ينسج بشمال لليمين'؛ وليس كذلك، لأن 'ينسج' قرينة واضحة على إرادة الشمال التي هي جمع شملة.[2]

_وفي باب التفريع، ساق قول الكميت من قصيدة يمدح فيها آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله:

أَحْلَامُكُم لَسِقَامُ الجَهْلِ شَافِيَّة كَمَا دِمَاؤُكُم تَشْفِي من الكَلَبْ

وبعد شرحه للبيت انتقل إلى مناقشة ما جاء في الشطر الثاني، وهو التداوي بدماء الأشراف، وبحثها من الوجهة الشرعية وبين حكم الله فيها، فقال:" والشاعر جعل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم كلهم ملوكا ينفع دمهم من ذلك، وإلى الآن ترى الناس إذا عضّ أحدهم كلب كَلِب طلب دم أحد الأشراف فالمنتسبين إلى النبي صلى الله عليه

[1] نفسه، ص368.

[2] نفسه، ص309.

وسلم يكتب له به في تمرة أو غيرها راقيا. وذلك حرام لا يجوز، وزعم بعض الناس أن التداوي بالنجس غير التداوي بشربه جائز، وليس كذلك".[1]

_وفي باب الهزل الذي يراد به الجد، لم يوافق أطفّيش من شرط أن يكون الباب للمدح والذم مطلق، كما أنه ردّ شاهد القائلين به، واعتبره خاليا من المدح والذم، فقال:"ولا يشترط فيه المدح أو الذم، وشرط بعضهم في مدح أو ذم، وليس كذلك، بل غالب

ومثّل له بقول صفي في بديعيته.

أشْبعْتَ نفْسَك مِن ذمِّي فهَاضَكَ مَا تَلَقّى وأَكْثَر مَوْتَ النّاسِ بالتَّخْمِ

وأقول: ليس بيت الصفي مدحا ولا ذمّا.[2]

ومن تعليلاته التي زخر بها كتابه تلك التي مشى فيها على طريقة من سبقه وهي إيراد الاستشكال ثم الإجابة عنه قبولا أو ردًّا، وفق ما يعرف بالفنقلة، من نحو قوله: وإن قلت، قلتُ، وإن قيل، قلت...

ومنها مايلي:

_وفي باب التورية، وعن مثال تدبيج التورية ذكر أطفّيش قول الحريري في المقامة الثالثة عشر المعروفة بالبغدادية والزورائية: 'فمذْ اغْبَرّ العيش الأخضر، وازور

[1] نفسه، ص397.

[2] نفسه، ص370.

المحبوب الأصفر، اسودّ يومي الابيض، ابيض فودي الأسود، حتى أتى لي العدو الازرق، فيا حبّذا الموت الأحمر'، وتوقف الشيخ عند الألوان التي أوردها الحريري وأنه لا يلزم من إيرادها أن يدل كل لون منها على التورية، باستثناء'المحبوب الأصفر' إذا المعنى البعيد له هو الذهب، وهو مراد الحريري، والقريب: هو الانسان الأصفر. قال الشيخ:"وإن قلت: ليس في جميع الألوان التي ذكر الحريري تورية بل في بعضها وهو المحبوب الأصفر، قلت: نعم ذلك جائز، لأنه لا يلزم منه جمع الألوان للتورية أن يكون في كل منها تورية والله أعلم.[1]

_وفي باب العكس، أثار أطفّيش نزاع أهل الفن في عد هذا الباب من المحسنات اللفظية دون المعنوية، وأورد رأيه في ذلك، فقال: "وإن قيل: هذا العكس ينبغي عدّه من المحسنات اللفظية دون المعنوية، وأورد رأيه في ذلك، فقال:'وإن قيل: هذا العكس ينبغي عده من المحسنات اللفظية، لأن حاصله تقديم لفظ ثم تأخيره على ما قدم عليه بل العكس كله بأنواعه على المعكوس أو بها في هذا النوع. والكلام جملة واحدة وأما باقي أنواع العكس فيظهر أنها من اللفظية إلا ما حصل به معنى حادث بالعكس غير ما أفاده التركيب...[2]

[1] نفسه، ص277.

[2] نفسه، ص303.

_وفي باب السرقة المحضة التي تسمى نسخا وانتحال، استشهد له أطفّيش بما حكي عن عبد الله بن الزبير أنه سرق قول معن بن أوس المزني:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنصِفْ أَخَاكَ وجَدْتَهُ عَلى طَرَفِ الهُجْرَان إِنْ كَان يَعْقِلُ

ويَرْكَبُ حدَّ السَّيْف منْ أَنْ تَضِيمَه إذا لَمْ يَكُنْ عنْ شَفْرَة السَّيْفِ مزْحَلِ

إذ دخل على معاوية فأنشده البيتين، فقال له معاوية، لقد شعرت بعدي ولم يفارق المجلس حتى دخل معن بن أوس فأنشده قصيدته التي أولها:

لَعَمرُكَ مَا أدرِي وإِنِّي لأرْجَلُ على أيُّنا تَبْعُدُ والمنِيَّة أوَّلُ

حتى أتمها وفيها هذان البيتان، فأقبل معاوية على عبد الله، وقال: ألم تخبرني أنهما لك فقال: اللفظ لي، أي: اللفظ، والمعنى له، وبعد فهو أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره...

وهنا بين أطفّيش حقيقة هذه السرقة بقوله: 'قلت : لما قال له معاوية اشعرت بعدي

فلم يقل له ليسا لي، فهم أنهما له، إذ لم يقل: إنهما لي، أو خرج عنه بعناية أن التلفظ له والمعنى لمُعِن، أو بعناية أن شعر أخيه كشعره، ولو كان قد قال: إنهما لي أو قال

اللفظ له والمعنى له كأنهما بلهاء، على معنى أنه ليس إنشادي له يوجب أني قد ادعيته لي ولو سكتُّ...[1]

ومن المسائل التي حققها، أو أحال إلى الوجه الذي حققه العلماء فيها، ما أشار إليه بكلمات من نحو: 'والتحقيق عندي...،قلت: التحقيق...،والتحقيق كما علمت...،قيل: التحقيق ...'، وهذه بعض منها.

_في باب الجناس، رد الشيخ على من أنكر وجود الجناس في قوله تعالى: "ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعةُ يُقْسمُ المُجْرمُون مَا لَبِثُوا غيْرَ سَاعَة()"[2]. بدعوى أن الساعة في الموضعين لمعنى واحد، وشرط الجناس اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقيين.

فقال أطفّيش:"قلت: التحقيق أن الجناس يكون بين حقيقيين، وبين مجازين، وبين مجاز وحقيقة، لصدق تعريف الجناس على ذلك، فاتضح أن ركبت حمارا ولقيت حمارا أي بليدا جناس. وقد مثلوا بقول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهبُهُ فَدَعْهُ فَدوْلَتُهُ ذَاهِبُهُ

فوصف الدولة بذهاب مجاز لكله عقل. وقوله:

مَا ماتَ منْ كرُمَ اللَّيَالِي فَإِنَّهُ يَحْيى لدَى يحْيَى بن عبد الله

[1] ينظر: النص المحقق، ص610.

[2] سورة الروم (الآية55).

فإن حياة الكرم مجاز، وقوله:' البدعة شَرَكُ الشِّرْكْ'، فإطلاق شرك بفتح_الراء_ على البدعة مجازٌ، وإنما هو حقيقة في آلة تنصب لصيد.[1]

وفي الجناس التام المستوفي، استشهد أطفّيش بقول أبي تمام:

ما مَاتَ منْ كَرَمِ اللَّيَالي فإنَّهُ يَحْيَا لدَى يَحْيى بن عَبْد الله

الأول فعل ماضي، والثاني علم ليحيى بن عبد الله البرمكي الجواد المعروف من عظماء أهل الوزارة في الدولة العباسية، ثم أورد رواية أخرى بلفظ آخر، وهي:

مَنْ مَاتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بن عَبْدِ الله

وانتقل ليناقش مسألة نحوية في _من_ و_ما_، وما هو الوجه الإعرابي الصحيح؟

قال الشيخ: 'وقيل: يجوز جعل _ما_ نافية و_من_زائدة في الفاعل، وهذا بناءا على جواز زيادتها مع المعرفة، وهذا في الروايات الأولى، وأما الثانية ففيها من مات _بمن_ بدل_ما_ وتحقيق أن _ما_ اسم موصول أو شرطية، لأن قوله: _فإنه يحيى_ يشكل على النفي، وإذا لم يقل: فإنه حي بصيغة الماضي.[2]

[1] ينظر: النص المحقق، ص610.

[2] نفسه، ص528.

وفي باب الاقتباس، تكلم أطفّيش طويلا في مسألة الاقتباس من القرآن وذكر أراء بعض علماء المذاهب، واختار القول بالحرمة في مواضع معينة كالإتيان بالقرآن شعرا ووزنا ونسبته إلى الله على نحو قول الشاعر:

يَا مَنْ عَدَى ثُمَّ اعْتَدى ثُمَّ اقْتَرَف ثُمَّ انتهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَف

أَبشِرْ بِقَول الله فِي آياتِهِ إنِ يَنْتهُوا يغْفِرْ لَهُم مَا قَدْ سَلَف

فهذا عنده ليس اقتباسا واعتبر_إن هذا ليس باقتباس، لأنه قد نسب الآية لله، ومن جهة أنه جاء بآية من كتاب الله على وزن الشعر لفظا، إذ يلفظ بها على وزنه ونغمتة، هذا عندي حرام بلا اقتباس أو به، وإنما يجوز أن يقال هذه آية أو هذا الحديث على وزن الشعر فلا يقرأ على وزنه...[1]، ثم قال في ختام البحث: والتحقيق كما ذكرته لك أيضا أنه لا يقرأ القرآن مراد به الكلام، وكان النخعي يكره أن يتناول القرآن بشيء يعرض من أمر الدنيا...[2]

[1] نفسه، ص642.

[2] نفسه، ص644.

الفصل الثاني:المنهج والمحتوى

-المبحث الأول:منهج أطفّيش في شرحه لكتابه

(ربيع البديع)

-منهجه في شرح الشواهد القرآنية

-منهجه في شرح الشواهد الحديثية

-منهجه في شرح الشواهد الشعرية

-منهجه في شرح الأمثال والأقوال والقصص:

المبحث الثاني:تلخيص محتوى

1-المبحث الأول: منهج أطفّيش في شرحه لكتابه'ربيع البديع'

نحا الشيخ في غالب كتابه مع تبسيط وسلاسة بعيدا على الإغراق

في مصطلحات كلامية أو حشو الأبواب وإثقال أبوابها بكثرة الاستطرادات والتفريعات ولا شك أن غرضه في ذلك الوصول إلى المبتغى من أقصر طريق وبأقل جهد.

-ومن هذا التبسيط عدم الاهتمام بالتعاريف اللغوية والاكتفاء بالتركيز على المعنى الاصطلاحي الذي هو أساس المنهج التعليمي وعلى هذا جاءت أكثر الأبواب _ألوان البديع_خلوا من التعريف اللغوي إلا بعض الأبواب التي رأى فيها الشيخ مناسبة لذكر معناها اللغوي ،من مثل باب الطباق، وباب الإرصاد، وباب الاستخدام، وباب الادماج، وباب إرسال المثل، وباب الاحتباك.

-وكان في بعض الأحيان يأخذ التعريف اللغوي عن الاصطلاح كما في البابين الآخرين المذكورين سابقا وربما ذكر ضمن بعض الأبواب تعريفا لغويا لمفردة

من المفردات كما فعل في الباب الأول_وهو الطباق_في كتابه حيث عرف البديع لغة واصطلاحا.

1-منهجه في شرح الشواهد القرآنية: ذكر بأن عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها أطفّيش قد وصل إلى'600'وستمائة ،وهو كم هائل إذا ما قورن بكتابه'بيان البيان' مثلا، حيث لا يزيد فيه على خمسة وأربعين شاهدا قرآنيا غير أنه وبالنظر إلى العدد الكبير من الأنواع البديعية المسوقة_وهو سبعة وتسعون ومائة نوع_لا يستغرب هذا التكثير من القرآن، وبخاصة إذا علم أن أطفّيش قد أورد مثلا في باب واحد فقط خمسين آية.

-ولعل مرد هذا الاكثار في الآيات وتذوقها منهج قصده الشيخ حتى لا يقتصر الكتاب

على مجرد تمهيد القواعد وحسب وإذن لم يحض الطالب بطائل كما أنه يكون قد سار على منهج من سبقه كالجرجاني في'دلائل الإعجاز'و'أسرار البلاغة' وكذا التفتزاني في'المطول'و'شرح المفتاح'.[1]

-والشيخ انتهج منهجا متنوعا في استشهاده بالقرآن حيث كان ينتظر فرصة إيراد الآية ليستطرد إلى ذكر بعض ما يتعلق بها إن من جهة الإعجاز وإن من جهة اللغة إعرابا وصرفا وإن من ذكر سبب نزولها وهكذا فكان حريصا على أن لا يغادر الباب من دون أن يضرب بسم اللطائف والفوائد والنكتة.

-فكان مثلا يأتي بآية كاملة ثم يستطرد بالقول إلى ذكر مسألة من أصول الدين، كما في الطباق، وباب التورية وغيرها. ففي باب التورية مثلا وعند حديثه عن التورية المرشحة، ناقش مسألة التأويل في آيات'الصافات'وذكر آراء المذاهب العقدية، ثم انتقدها وبين ما ترجح على مذهبه هو فقال:'ومثال المرشحة وهي التي يجامع شيئا مما يلائم المعنى القريب'، قوله تعالى:'وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ'[2] أراد بالأيدي المعنى البعيد وهو القدرة، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب هذه التي هي الجوارح المخصوصة وهي قوله: بنيناها إذا البلاء يلائم الجارحة وقد كثر الممثلون بالآية هذه والتي قبلها 'كالسيوطي'و'القزويني' ،قيل وهو جرى على مذهب أصل الظاهر من المفسرين يعني غير المحققين ولم يعني الظاهرية، فإنهم يفسرون الاستواء بالاستقراء، والأيدي بالجوارح فهم مشبهون أو يزعم من يزعم كذلك ويدعي أن ذلك لا يكيّف وهم سلف الأشاعرة وكلا المذهبين خطأ أو الحمل على التورية فرارا من ذلك ومقابل ذلك الجري على ظاهر ما قيل: أن هذا تمثيل وتصوير لعظمته وتوقيف كنِّه

[1] الشيخ أطفيش وجهوده البلاغية في علم البديع، كتاب ربيع البديع، تح محمد لقدي
www.eldjalfa momlad.com

[2] سورة الذاريات (الآية 47).

جلاله من غير ذهاب بالأيد إلى جهة حقيقية أو مجاز بل يذهب غلى أخذ الزبدة وخلاصة من الكلام من غير أن يتحمل باعتبار المعنى، لمقصود وإلا فهي حقائق باعتبار المعنى الأصلي...قال عصام الدين:'لا تجوز في شيء في أجزاء الكلام من حيث الاستعارة التمثيلية بل هي على ما كانت عليه قبل الاستعارة من كونها حقائق أو مجازات أو مختلفات، بل في المجموع من حيث هو مجموع، وشددو التنكير على ما يفسر اليد بالنعمة في: 'بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانْ'[1]. والأيدي بالقدرة في الآية الأخرى والاستواء بالفهم والغلبة على التورية من ذلك كلِّه، والداعي إلى ذلك نفي التشبيه. قيل التحقيق أن ذلك تمثيلة استعارة بأن شبهت أجاد الله السماء بالقدرة الأزلية بالبناء الذي هو وضع لبنة على لبنة بالأيدي الحسية، ثم استعير مجموع بنيناها بأيد، وشبه استيلاء الرحمان على العرش باستقرار مالك على سرير، والجامع أن كل دال على مُلك تام فلم يصح ما قيل: 'إن ذلك تصوير لا تشبيه أو استعارة لعدم الجامع، ثم ما ذكر من التشبيه مسامحة عندي غير حائزة لأنه لا يشبه فعل الله بفعل مخلوق ولا فعله بفعل الله شرعا وتحقيقا ولو صح باعتبار اللغة والتخيل'[2].

-وكان يأتي بالآية ثم ينتقل إلى ذكر ما فيها من إعجاز كقوله في باب تدبيج الكناية عند قول الله جل وعلا: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءًا فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَمِنَ الجِبَالِ جُدُدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَغَرَابِيبُ سُودْ"[3]

المراد بهؤلاء الكلمات في الآية الكناية عن المشبه والواضح من الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر سلوكها حتى تصير أوضح الطرق وتسمى المحجة

[1] سورة المائدة (الآية 64).

[2] ينظر: النص المحقق، ص310.

[3] سورة فاطر (الآية 27).

البيضاء، ودون ذلك الطريق والتي هي قليلة السواد وتسمى الحمراء ودون ذلك الطريق التي لم تسلك وتسمى السواد.

والألوان في الآية ثلاثة أبيض وأحمر وأسود؛ طرفان وواسطة: أعلى ظهور وأسفل خفاء ومتوسط، لما كانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه أتت الآية على هذا النسيج[1].

وكذلك فعل في براعة الاستهلال، حيث أشار إلى إعجاز الحروف المقطعة أوائل السور، ثم زاد أن ذكر وجها آخر من الإعجاز فيها وهو تكرار الحرف الذي افتتحت به السورة، كسورة 'ق'؛ قال الشيخ: '...ومن براعة الاستهلال الحروف المقطعة في أوائل السور دلائل على الكلمات الكبيرة المذكورة فيها تلك الحروف، كسورة 'ق' ففيها من كلمات القاف: "القرآن، والخلق، القول المكرر ومراجعته مرارا، لوالقرب من بني آدم والسائق...ونحو ذلك"[2].

منـــهـــجـــه	البـــاب	الصفحـــــة
_ساق الآية القرآنية ثم عرّج إلى ذكر سبب نزولها استطرادا.	باب التنكيت	ص 170
_يسوق اسم الصورة برمّتها ليروي بها حادثة أو قصة لبعض أعلام التفسير.	باب براعة الختام	ص 245
_يذكر الشاهد القرآني للباب ليناقش فيه مسألة فقهية.	باب الاقتباس (باب الاقتباس الذي لم ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي)	ص 366

[1] ينظر: النص المحقق، ص274.

[2] نفسه، ص507.

_يأتي بالآية أحيانا لبيان ما اشتملت عليه من حكمة دفعا للملل وتنشيط للقريحة.	باب العكس	ص 59
_قد يستوقفه وجها من أوجه القراءات في آية ما ليستدل به على الباب أو ربما يذكر ما في الآية من أوجه القراءة لمزيد الفائدة والتوضيح.	باب المبالغة المقبولة باب التجريد باب الاقتباس	ص 100 ص 96 ص 168
_ثم يتنقل ليفيد الطالب ببعض ما تعلق بالآية من القراءات.	باب تدبيج الكناية	ص 31
_كان يأتي بالآية ثم ينبري(يسعى)لبيان ما تتعلق بها من وجوه لغوية نحويا وإعرابا أو صرفا.	باب الطباق باب التورية باب المبالغة المقبولة باب الاقتضاب باب جناس الإطلاق	ص 20 ص 63 ص 100 ص 252 ص 277
_ربما أتى بالآية ليبين أنها ليس مما يستدل به على الباب؛ إذ قد يتوهم بعضهم أنها تصلح شاهدا، وهي في الحقيقة ليست كذلك.	باب العكس باب الموازنة	ص 593 ص 313

2-منهجه في شرح الشواهد الحديثية: سبقت الإشارة إلى ما حواه الكتاب من الاحاديث النبوية الشريفة، والتي زاد عددها على الثلاثين، وهو عدد لا بأس به عموما، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ من المقلين في الاستشهاد بالسنة المطهرة، كما ظهر ذلك في كتابه 'بيان البيان' وفي كتابه الآخر 'تخليص المعاني'كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ويأتي بالحديث ليس شاهدا للباب ولكن ليفصح به عن معنى من المعاني احتواه ذلك الشاهد، كما في باب'تدبيج التورية'، حيث أورد قول الحريري في المقامة الثالثة عشر

المعروفة بالبغدادية وهي قوله: 'فمذ أخبر العيش الأخضر، وأزور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض، وابيض فؤادي الأسود، حتى رثا ليا العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر'.

وبين ما قصده الحريري بذلك واستوقفته عبارة'الموت الأحمر' فشرحها واستشهد لها بالحديث، فقال: 'يقال: الحسن أحمر؛ أي: من أحب الحسن احتمل الشدّة والألم يبلغه وفي الحديث من وصف شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم: 'كنّا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛أي نكون وراءه ويلي العدو. وقيل: الموت الأحمر: القتل، سمي أحمر ،لما فيه من الدم وهو أنسب بذكر الصفرة والزرقة والسواد والبياض...[1]

_وقد يسوق الحديث، ثم يتم الفائدة بذكر الحادثة كاملة مصدرها من كتب الحديث كما جاء في'باب التورية'، عند كلامه عن المجردة، حيث مثّل لها بقولهم: 'في عيني كالبياض'، وأراد البياض الدائر بالأسود لا بياضا في الأسود. وهنا يأتي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع العجوز، ويذكر الرواية كاملة، فقال: '...وما روي أن عجوزا قالت: يا رسول الله أدعوا الله أن يدخلني الجنة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم 'ليس في الجنة عجوز أو لا تدخلها عجوز'، أي: لا توجد عجوز فيها بل يرد الله لها شبابها ثم تدخل الجنة. والحديثان في كتاب (الشمائل)وغيره[2].

_وربما ساق الحديث يفسر به آية من كتاب الله، فيعرج على ذكر ما ناسب ذلك الحديث من تعدد الرواية وما وقع من الموافقة لكلام الله، كما فعل عند قوله تعالى: 'وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ()ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ()ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً()فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً()فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا()فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا()ثُمَّ

[1] ينظر: النص المحقق، ص276.

[2] نفسه، ص308.

أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرْ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينْ'[1].وقبل أن يتم النبي صلى الله عليه وسلم الآيات بادر كاتب الوحي لآخره فنطق به من قبل نزوله، وهو 'فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِين'ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'أكتُبْهَا فقَدْ نزَلَتْ كمَا نُطِقَتْ'، دخله الشك فارتد[2]

ثمّ ثنى الشيخ بذكر رواية أخرى مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، في الآية نفسها فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه'فتبارك الله أحسن الخالقين'، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مم ضحكت يا رسول الله، فقال: 'بها خَتَمْتَ'[3].

منهجـه	البـــــاب	الصفحـــــة
_ذكر الحديث ثم أتى على شرح مفرداته، وبخاصة المشكلة منها ويزيد في بيانه وإيضاحه حتى لا تفوت الطالب فائدة الحديث.	باب التمثيل	ص 212
_وقد يستطرد بالشاهد إلى ذكر مسألة شرعية.	باب السجع	ص 291
_قد يذكر الحديث ليشرح به شعرا.	باب العقد	ص 380
_قد يسوق شاهد غيره من العلماء ثم يرده ،ويقف على ما التبس فيه.	باب التورية	ص 63

3-منهجه في شرح الشواهد الشعرية: يأتي في غالب استشهاداته بالشاهد كاملا، وقد يكون هذا الشاهد بيتا وقد يكون بيتين وقد يكون أكثر، وقد يأتي بسطر أو جزء من

[1] سورة المؤمنون(الآية12-14)

[2] ينظر: النص المحقق، ص 439.

[3] نفسه.

بيت، وهو قليل ومنه قوله في'باب الكناية'حيث بين أن الكناية قد تخرج إلى التلويح إذا تعدد الوسائط[1]؛ وهنا ساق أطفّيش جزءا من بيت وهو:

'كثير الرماد'، وهو مشهور من قصيدة للخنساء ترثي أخاها صخرا، حيث قالت:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَى

وكذلك فعل في'باب إئتلاف اللفظ مع الوزن'حيث أشار إلى ما وقع لبعضهم من التعسف في التقديم والتأخير حتى يستثقل البيت وتضمحل بلاغة نظمه ويغيب التأليف بين اللفظ والوزن، وهنا أشار الشيخ إلى جزء من بيت الفرزدق وقال:...كما تعسف الفرزدق في قوله: 'وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ...' البيت، فإنه لم يتآلف لفظه مع وزنه[2].

_وقد يأتي بالشاهد يحوي أبياتا، ثم يصحح تركيب الأبيات خلافا لما وقع لبعضهم من التشويش كالسكاكي في أبيات ساقها لأبي الطيّب المتنبي في سيف الدولة، كما في: 'باب الجمع والتقسيم'، وهي:

قَادَ المَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلُ عَلى التَّشْكِيم وأَدْنَى سَيْرِهَا سَرَع

حَتَّى أَقَامَ عَلى أَرْبَاط خَرْشَنَة تَشْقَى بِهَا الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبيعُ

للسَّبْي مَا نَكَحُوا والقَتْلِ مَا وَلَدُوا والنَّهْبُ مَا جَمَعُوا والنَّارِ مَا زَرَعُوا

قال الشيخ: "وذكر السكاكي بيتا من قوله'البيع'وقوله'للسَّبْي'، وهو قوله:

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيْفُ منْتَظِرُ وأَرْضُهُم لَكَ مُصْطَافٌ ومُرْتَبَعُ

[1] ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط 1 1423 هـ ، ص217.

[2] ينظر: النص المحقق، ص341.

والمشهور أنّ هذا بعد قوله: 'للسبي'بأبيات[1]

_يذكر البيت أحيانا ثم يستطرد به إلى إثارة مسألة من أصول الدين أو فروعه، كما فعل في'باب الاستتباع'، حيث ناقش فيه مسألة من مسائل العقيدة، وهي مسألة المقتول: أهو ميت قبل أجله أم لأجله؟ وأشار إلى الخلاف الذي وقع بين الأشاعرة والمعتزلة، ثم رد مذهب أهل الاعتزال لأنه ينافي توحيد الألوهية، على ما قرره علماء العقيدة. قال الشيخ بعدما ساق قول المتنبي:

نهَبْتُ منَ الأَعْمَارِ مَا لَو حَوَيْتُهُ لهُنِّئْتْ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

"وليس البيت مبنيا على مذهب المعتزلة في أنّ المقتول مات قبل أجله، ولا

على المذهب الحق من أنه مات لأجله، بل هو محتمل، والمتبادر حمله على الحق إلّا إذا معتزليا، وباطل مذهبهم في المسألة؛ لأدائه إلى أن القاتل غلب الله فقدم ما أخره الله وإن قال: له أجلان عند الله، مات لأوّلهما في زعمهم، قلنا: مات لأجله ولا دليل على أن هناك أجلا آخر بل على عدمه..."[2].

_يذكر الشاهد فينسبه إلى صاحبه أحيانا ابتداءا، وقد يأتي به بيتا كان أو بيتين

من غير ذكر اسم صاحبه، ثم يستدرك على نفسه آخر الباب فيعود لينسبه إلى قائله

وقد يشير إليه بقوله: قال الشاعر، أو كقوله الشاعر، أو كقول بعضهم...، وفي هؤلاء من اختلف اسمه؛ وذلك تجاوزه الشيخ، وفيهم من عرف قائله ولكن الشيخ تجاهله.

فمن الأول_وهو الأكثر_كقوله: قال أبو الطيب المتنبي، قال أبو تمام، قال أبو العتاهية ،قال ذو الرمة، قال الفرزدق، قال سيثار، ...

[1] ينظر: النص المحقق، ص 334.

[2] نفسه، ص 380.

ومن الثاني: نحو ما فعل في باب الإدماج، حيث أورد بيتين من غير نسبة، وهما:

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي مُرَادِنا وأَسْعَفَنَا فِي منْ نُحِبُّ ونُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ نَعْمَاكَ فِيهِم أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إِنْ المهِمُّ المقَدَّمُ

ثم قال بعدهما: 'فالمعنى المسوق له الكلام أمره الزمان أن يتم نعمه في أحبّته يفعل ما يشاء فيهم، والمعنى الآخر هو تهنئة الزمان بهم.

وأما ،أيقال أدمج شكوى الزمن في التهنئة فلا يصحّ، لأن الشكوى قد صرح بها ولو أثبته فرج بن محرز. والمتكلم يوهم السامع في الإدماج أنه لم يأت بالمدمج قصدا. والبيتان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب حيّ ولي الوزارة للمعتضد"[1].

سَرِيعٌ إِلى ابْنِ العَمِّ يَلْطُمُ خَدَّهُ ولَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدى بِسَرِيعِ

فلم يعزه بصاحبه، لأنّ البيت فعلا مما اختلف فيه، فمنهم من نسبه للأقيشر، ومنهم نسبه للمغيرة بن عبد الله، وبعضهم نسبه لامرئ القيس[2]. والشيخ قد ذكره مرة أخرى بـ'وجهه'بدل'خده' ،وكان ذلك في باب رد العجز إلى الصدر.

ومن الأخير، مما عرف قائله وتجاهله الشيخ، قوله في باب السَّجع: 'وقول الشاعر:

حَمَامَةَ جَرْعَى حَوْمَةَ الجَنْدَلِ اسْجِعِي فَأَنْتِ بِمَرْأَى منْ سُعَادٍ ومَسْمَعِ

فإن هذا البيت قد نسبه غير واحد، منهم ابن الأثير في'المثل السائر'إلى ابن بابك.

---

[1] نفسه، ص383.

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،مكتبة الخانجي، القاهرة،ط5، 2004م، ص 116.
محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ط1، 1403هـ/1983م، ص 59.

قال البغدادي:"حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي...، قائله ابن بابك الشاعر المشهور من قصيدة من الطويل وتمامه: 'فأنت بمرأى من سعاد ومسمع'.

منهجـــه	البـــــاب	الصفحـــة
_يأتي بالشاهد ثم يكشف فيه عن لهجة محلية.	باب حسن التعليل	ص 113
_كان كثير ضبط الكلمات وشرحها وبخاصة التي تبدوا صعبة الفهم أو يلتبس على الطلبة قراءتها من غير لحن أو تصحيف؛ بل حتى شرح الأعلام والأماكن والبلدان.	باب التفريع باب التمكين باب الجناس المضارع باب المبالغة المقبولة باب التجريد باب تجاهل العارف	ص 120 ص 183 ص 271 ص 100 ص 96 ص 147
_يذكر الشاهد ثم يأخذ بالكلام فيه من جهة اللغة نحوا وإعرابا وصرفا.	باب براعة المخلص باب حسن التعليل	ص 248 ص 113
_قد يسوق الشاهد ثم يأتي له برواية أخرى.	باب براعة الاستهلال باب حسن التعليل	ص 237 ص 262
_قد يأتي بالرواية التي يحفظها ثم يسوق رواية غيره.	باب القول بالموجب	ص 137
_يأتي بالشاهد أحيانا ثم يطلق العنان لقلمه وقريحته في ذكر ما يحيط بالبيت أو الأبيات من معان فيستفيض في الشرح وربما تطرق لمناسبة قول الأبيات حتى تعم الفائدة.	باب المذهب الكلامي باب براعة الاستهلال	ص 108

4-منهجه في شرح الأمثال والأقوال والقصص: القصص وعلى قلتها قد أعطاها الشيخ نصيبها من الشرح وقد تنوع فيها حسب الباب.

منهجـــــــه	البـــــاب	الصفحـــــة
_كشفه عن بعض ما خصّ الله عباده من معجزات تؤيد صحّة دينهم.	باب التلميح	ص 387
_استشهد الشيخ ببيت ذهب شطره بقصة.	باب التلميح	ص 382
_في الأمثال الواردة في الكتاب ،اعتنى الشيخ بشرحها بقدر الحاجة دونما توسع ولعل مرد ذلك لوضوحها وسلاسة عباراتها.	باب الفوائد باب سلامة الاختراع	ص 178 ص 228
_أما الأقوال فسار على المنهج نفسه في شرحه للأمثال.	باب المبالغة المقبولة	ص 100

2-المبحث الثاني: تلخيص المحتوى

لقد قسم أطفّيش كتابه إلى قسمين: قسم يزين المعنى سواءا أزين اللفظ أم لم يزينه، وقسم يزين اللفظ فقط.

ومن الأبواب التي ذكرها نجد باب الطباق الذي أورد فيه تعريفه والمراد بتسميته بالتضاد، كما تطرق إلى أنواع التقابل إلى أن وصل إلى كيفية بناء الطباق كأن يقول: "يكون الطباق بين فعلين ثم شرح طباق الإيجاب وطباق السلب، حتى أنه توسع فيه لدرجة أنه ذكر أول من سمى هذا الباب بالطباق وهو ابن المعتز وأورد ذلك في نبذة قصيرة عنه.

هذا مثال واحد من الأبواب الكثيرة المذكورة في هذا الكتاب ولاختصار هذا العمل أوردنا بقية أبواب الكتاب في جدول من ثلاث أعمدة، العمود الأول؛ ذكرنا فيه الموضوع حيث جعلنا بابا رئيسيا لكل نوع من أنواع البديع، أما العمود الثاني فقد أحصينا فيه جميع الأبواب التي تندرج ضمن الباب الرئيسي الأول إلى أن وصلنا في العمود الثالث إلى ذكر صفحة كل باب على حدة.

وهذا يتمثل في الجدول التالي:

الموضوع	البـــاب	الصفحـــة
من البديع وهو التقابل.	_باب الطباق.	ص 20

	_باب التدبيج.	ص 31
	_باب الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بالآخر	ص 35
	_باب الجمع بين معنيين غير متقابلين	ص 36
	_باب ما يختص باسم المقابلة	ص 37
	_باب تشابه الأطراف	ص 44
	_باب مراعاة النظير	ص 43
	_باب إيهام التناسب	ص 47
	_باب ترصيع الكلام	ص 48
	_باب الإيجاب والسلب	ص 221
	_باب الطرد والعكس	ص 193
	_باب التوجيه	ص 143
	باب نفي الشيء بإيجابه	ص 213
من البديع وهو التجنيس	_باب الجناس	ص 256
	_باب الجناس التام المتماثل	ص 259
	_باب الجناس التام المستوفي	ص 262
	_باب الجناس التام المركب المتشابه	ص 263
	_باب الجناس التام المركب المفروق	ص 264
	_باب الجناس التام المركب المرفو	ص 265
	_باب الجناس الناقص	ص 266
	_باب الجناس المضارع	ص 271
	_باب الجناس اللاحق	ص 272
	_باب الجناس اللفظي	ص 273
	_باب جناس القلب	ص 273
	_باب الجناس المقلوب المجنح	ص 274
	_باب الجناس المزدوج	ص 275

	_باب الجناس الخطي	ص 276
	_باب الجناس المقتضب	ص 276
	_باب جناس الإطلاق	ص 277
	_باب جناس الإشارة	ص 278
	_باب الجناس المحرف	ص 266
	_باب الطاعة والعصيان	ص 222
من البديع وهو السجع	_باب السجع	ص 291
	_باب السجع المطرّف	ص 303
	_باب السجع المتوازي	ص 304
	_باب السجع المرصع	ص 304
من البديع وهو الجمع والائتلاف	_باب الجمع	ص 79
	_باب الجمع والتفريق	ص 86
	_باب الجمع مع التفريق والتقسيم	ص 89
	_باب الجمع المؤتلف والمختلف	ص 90
	_باب ائتلاف اللفظ مع المعنى	ص 91
	_باب ائتلاف المعنى مع المعنى	ص 92
	_باب ائتلاف المعنى مع الوزن	ص 93
	_باب ائتلاف اللفظ مع الوزن	ص 94
	_باب ائتلاف اللفظ مع اللفظ من وجه آخر	ص 95
	_باب المزاوجة	ص 57
	_باب التفريق	ص 81
	_باب الجمع والتقسيم	ص 87
من البديع وهو السرقة الشعرية	_باب السرقة المحضة الظاهرة	ص 338
	_باب السرقة الظاهرة المسماة إغارة ومسخا	ص 341
	_باب السرقة الظاهرة المسماة إلماما وسلخا	ص 348

	_باب السرقة الظاهرة المسماة بالإيداع	ص 352
	_باب السرقة الظاهرة (الاستعانة)	ص 353
	_باب السرقة الخفية (بالتشابه)	ص 353
	_باب السرقة الخفية (بنقل المعنى)	ص 355
	_باب السرقة الخفية (الشاملة)	ص 356
	_باب السرقة الخفية (المسماة بالقلب)	ص 356
	_باب ما يتوهم أنه سرقة وليست هي	ص 361
	_باب الاقتباس الذي لم ينقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي	ص 364
	_باب الاقتباس الذي نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي	ص 371
	_باب الاقتباس مع تفسير يسير	ص 374
	_باب التضمين	ص 374
من البديع ما هو من محاسن الكلام والشعر	_باب التجريد	ص 96
	_باب المبالغة المقبولة	ص 100
	_باب المذهب الكلامي	ص 108
	_باب حسن التعليل	ص 113
	_باب التفريع	ص 120
	_باب تأكيد المدح بما يشبه الذم	ص 122
	_باب تأكيد الذم بما يشبه المدح	ص 127
	_باب الإستتباع	ص 130
	_باب الإدماج	ص 132
	_باب حسن الإستتباع	ص 134
	_باب الاستثناء	ص 135
	_باب الاستدراك	ص 136

	_باب الهزل الذي يراد به الجد	ص 146
	_باب تجاهل العارف	ص 147
	_باب الاطّراد	ص 150
	_باب الاستطراد	ص 153
	_باب الانسجام	ص 154
	_باب التفويف	ص 159
	_باب التسليم	ص 161
	_باب إرسال المثل	ص 162
	_باب التخييير	ص 165
	_باب الافتنان	ص 165
	_باب الاقتدار	ص 166
	_باب الارداف	ص 167
	_باب الاقتصاص	ص 168
	_باب التنكيت	ص 170
	_باب التعديل	ص 171
	_باب الترتيب	ص 172
	_باب الترقي	ص 173
	_باب التدلي	ص 173
	_باب التضمين	ص 174
	_باب حسن النسق	ص 175
	_باب عتاب المرء نفسه	ص 176
	_باب العنوان	ص 177
	_باب الفرائد	ص 178
	_باب القسم	ص 179
	_باب المواربة	ص 180

	_باب النزاهة	ص 181
	_باب الابداع	ص 182
	_باب التذييل	ص 187
	_باب الالتفات	ص 196
	_باب النوادر	ص 210
	_باب التوشيع	ص 211
	_باب التمثيل	ص 212
	_باب التخييل	ص 224
	_باب الألغاز	ص 229
	_باب التعجب	ص 230
	_باب براعة الاستهلال	ص 237
	_باب براعة المطلب	ص 244
	_باب براعة الختام	ص 245
	_باب براعة المخلص	ص 248
	_باب الاقتضاب الغريب من براعة التخلص	ص 252
	_باب حسن المطلب	ص 254
	_باب الاقتضاب البعيد من براعة التخلص	ص 254
	_باب التجزية	ص 307
	_باب التشطير	ص 308
	_باب التصريع	ص 310
	_باب التطريز	ص 320
	_باب التشريع ويسمى التوشيح	ص 322
	_باب القلب	ص 326
	_باب الرقطاء	ص 328
	_باب الخيفاء	ص 328

	_باب الحذف	ص 329
	_باب الارصاد	ص 48
	_باب العكس	ص 59
	_باب الرجوع	ص 62
	_باب اللف والنشر	ص 74
	_باب التقسيم	ص 82
	_باب المراجعة	ص 140
	_باب التمكين	ص 183
	_باب الطي	ص 185
من البديع وهو المجاز	_باب المجاز	ص 226
	_باب المشاكلة	ص 52
من البديع ما يعتبر من البيان	_باب الاستخذام	ص 70
	_باب التشبيه	ص 215
	_باب الكناية	ص 225
	_باب التورية	ص 63
	_باب القول بالموجب	ص 137
	_باب حسن البيان	ص 232
	_باب الإيضاح	ص 219
	_باب الإطناب	ص 222
	_باب الإيجاز	ص 200
	_باب التعريض	ص 207
	_باب الاعتراض	ص 191
	_باب التتميم	ص 189
	_باب إيماء الكلام لغيره	ص 224
	_باب الاحتراس	ص 188

	_باب التكميل	ص 189
	_باب التفسير	ص 218
	_باب الاتساع	ص 223
	_باب التفصيل	ص 232
	_باب التكرار	ص 203
	_باب الاكتفاء	ص 201
	_باب حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي	ص 206
	_باب التضعيف	ص 236
	_باب الإسجال	ص 186
	_باب الانتقال	ص 186
	_باب مجارات الخصم	ص 187
	_ باب الترديد	ص 204
	_باب الاعلان	ص 210
	_باب التأنيس	ص 225
	_باب الترشيح	ص 226
	_باب التوهيم	ص 227
	_باب التاريخ	ص 230
	_باب التوسل	ص 231
	_باب السهولة	ص 231
	_باب التعطف	ص 206
	_باب التهذيب والتأديب	ص 233
	_باب الاعتذار	ص 234
	_باب الداعي	ص 234
	_باب التسمية	ص 236
	_باب الموازنة	ص 313

	_باب المماثلة	ص 316
	_باب التسميط	ص 317
	_باب المقطع	ص 331
	_باب الموصول	ص 331
	_باب حصر حروف الهجاء	ص 331
	_باب الاشتقاق	ص 332
	_باب لزوم ما يلزم	ص 333
	_باب العقد	ص 380
	_باب الحل	ص 382
	_باب التلميح	ص 383
	_باب الاستشهاد	ص 322

خاتمة

انتهت هذه الدراسة التي جمعت بين الجانبين النظري والتطبيقي، من خلال

البحث إلى التعرف إلى أحد مؤلفات الشيخ محمد بن يوسف أطفّيش في علم البديع الذي يظهر أنه اطّلع على هذا العلم وتذوق جمال ما يضفيه على المعاني، ومن خلال هذا نرى أنه استطاع ولو بقليل أن يبرز على أقرانه من علماء الجزائر حتى ولو كان عالما بالشريعة أكثر منه باللغة.

وإن هذا المجهود المتواضع الذي قمنا به لهو رغبة بسيطة في الكشف للباحثين

في هذا التخصص عما تخبئه آثار هذا العلم _علم البديع_الذي مازالت مبهمة الكثير من شعابه، ولم تنل الاهتمام الكافي والتعمق المرجو، مثْله مثْل الشيخ أطفّيش الذي وإلى اليوم لم يحض بالاهتمام المرجو والكافي، ونحن من خلال بحثنا هذا نسعى

إلى فض الغبار عن هذا الاسم وواحد من أهم مؤلفاته ونسلط الضوء لمن أراد التعمق أكثر.

إن هذا البحث المعنون بـ'ربيع البديع لمحمد بن يوسف أطفّيش المنهج

والمحتوى'حاول التفتيش في ثنايا حياة الشيخ وأحد مؤلفاته في علم البلاغة. ويمكن إجمال ما انتهت إليه الدراسة فيما يلي:

-تنوع منهجه في الشرح، واعتمد على طريقة من سبقه في عرض المادة وترتيبها من خلال الأبواب والفصول، إلا أنه كان يراعي المستويات المعرفية لطلبته وأهل زمانه فاتسم لذلك أسلوبه بالوضوح في الغالب.

-تنوع شواهده، فحوت كتبه القرآن والسنة النبوية، والكلام العربي (شعره ونثره) ولم تخل أكثر كتبه من القصص وأخبار الناس. كما اختلفت تلك الشواهد قلة وكثرة، حيث زادت الشواهد القرآنية مثلا عن الستمائة.

-استوعب في الشاهد الشعري، أغلب عصور الشعر، خصوصا الاستشهاد بأبي الطيب المتنبي.

-جمع أكثر من مائة وسبعة وتسعين نوعا بديعيا، كل نوع جعله في باب مستقل وهو كم هائل، ويكون بذلك من القلائل الذين جمعوا ما تناثر من الأنواع البديعية في كتب السابقين وأودعوها في كتاب واحد.

-يمكن اعتبار مؤلفاته البلاغية دون مبالغة لأن تكون اليوم منهج منتظم لمستويات تعليمية مختلفة.

-تعقبه للعلماء واستدراكه عليهم ومخالفتهم أحيانا.

والشيخ اطفّيش جدير بالتعرف عليه اكثر والاعتراف به من خلال ما خلف من

آثار، وأسأل الله التّوفيق والسّداد، والهدى والرّشاد، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين.

المصادر والمراجع

_القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان) ط1، 1992م، مج2.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، 1998م،مج3.

3_أحمد لقدي، النص المحقق من كتاب ربيع البديع

4-أمحمد لقدي، محمد بن يوسف أطفّيش وجهوده البلاغية(20مارس2018)

www.montadaeldjalfa.com

5-دبوز محمد علي، نهضة الجزائر(3)الحديثة، المطبعة التعاونية، 1965م.

6-يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423هـ.

7-كتاب الأعلام

8-محمد بن يوسف أطفّيش، كتاب ربيع البديع

9-محمد بن يوسف أطفّيش، تخليص المعاني من ربقة جهل المعاني

10-محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

11-مصطفى ونتن، الشيخ أطفّيش وثلاثية العلم والجهاد، 2011م.

12-عبد الرحمان بن محمد الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، 1965م

13-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.

14-رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993م

فهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة.....ص4

الفصل الاول : التعريف بحياة المؤلف و مؤلفه ص6

المبحث الاول:المؤلف حياته واثاره.....ص7

01_ عصره وبيئته.....ص7

02_حياته واثاره..... ص12

03_اثاره العلمية.....ص24

04_وفاته.....ص30_31

المبحث الثاني:التعريف بالمؤلف.....ص32

01_الشكل الخارجي للكتاب.....ص32

02_سبب التسمية.....ص33

03_القيمة العلمية للكتاب.....ص39

الفصل الثاني:النهج والمحتوى ص52

المبحث الاول: منهج اطفيش في شرحه لكتابه ربيع البديع.....ص56

01_منهجه في شرح الشواهد القرآنية.....ص56

02_منهجه في شرح الشواهد الحديثية ص60

03_منهجه في شرح الشواهد الشعرية.....ص62

04_ منهجه في شرح الامثال والاقوال والقصص.....ص67

المبحث الثاني: تلخيص المحتوى.....ص68_76

خاتمة.....ص78

قائمة المصادر والمراجع.